لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج: ٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ٧٠المعارج: ١-١٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿تَعْرُجُ﴾، ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾، ﴿إِلَيْهِ﴾، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

The angels and the Spirit are limping (like the limp; following the universe curvature)**, until the end of which to Him** (by its initial quantity and condition, to cover its span or maximal observable distance)**; in** (at least) **fifty** (cosmic years; by the speed of) **thousand** (lunar) **years per day** (which is the speed of light)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

[١] سعة كونية تفوق الخيال

اعتدنا في حياتنا اليومية قياس المسافات الكبيرة بالميل والكيلومتر؛ لكننا اكتشفنا أن الأبعاد السماوية أكبر من مقاييسنا الأرضية، واتضح بالتدريج أنها أبعاد تفوق الخيال، فاستخدمت وحدة السنة الضوئية لقياس الأبعاد الفلكية، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة أرضية؛ بأكبر سرعة في الكون، والقاعدة استخدام وحدة زمن تُناسب البعد مع أكبر وحدة للسرعة؛ فنقول يبعد القمر أكثر من ثانية ضوئية والشمس أكثر من ثمان دقائق ضوئية؛ وأقرب نجم على بعد أكثر من ٤ سنوات ضوئية وأقرب مجرة وهي المرأة المسلسلة على بعد أكثر من ٢ مليون سنة ضوئية، وحشود التجمعات المجرية العظمى أبعد بكثير؛ وكلما مد الإنسان بصره أبعد بَدَت المجرات العظمى في انحسار مُبتعدة، إلى أن تنعدم الرؤية باستخدام التلسكوبات الضوئية، ومع استخدام التلسكوبات الراديوية امتد بصره أبعد؛ إلى أن كَلَّ بصرُهُ عن المُشاهدة وارتد عاجزًا وهو حسير عند بلوغ سرعة الانحسار نفس سرعة الضوء القادم، وعند أقصى ما يُمكن مُشاهدته كانت بداية تكوين طبقات الأجرام الفلكية على بعد مُذهل يبلغ على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية؛ وفق ما توصل إليه عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه الدولي من الفلكيين من عدة مراصد بالعالم[٣].

وإن شئت التبسيط باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة وتسمى السنة الكونية Cosmic Year (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)؛ فأبعد مسافة كونية مُمكنة الرصد على الأقل: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء.

[٣] Wikipedia World Encyclopedia

وهكذا عاود الإنسان النظر بالعين المُجردة إلى الكون المُمكن النظر؛ فلم يكتشف من آفاق الأجرام السماوية سوى خمس كواكب وبعض تشكيلات النجوم، والكُل مُتماثل الإتقان في التئام تام كأنه بناء بلا شُروخ في الجُدران، ثم استطلع كرتين بوسائل مد البصر، مرة باستخدام التلسكوبات البصرية ومرة أخرى باستخدام التلسكوبات الراديوية؛ إلى أن بلغ أقصى حد وهالته السعة المُذهلة، حيث كَلَّ بصرُهُ عن المُشاهدة وارتد خاسئًا عاجزًا عن الإدراك وهو حسير، وفي القرآن الكريم ترد نبوءة تُطابق تاريخ استطلاع آفاق الكون: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ٦٧الملك:٣و٤.

ومن دقة الحركات الفلكية وانتظامها بلا شذوذ رغم السعة الهائلة؛ يُمكن استخدامها كساعات كونية للقياس، ومسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة حول الأرض الساكنة كما يعُد ويتوهم جميع الناس بمجرد النظر؛ يقطعها الضوء في يوم واحد، وهو صريح النبأ بالمُقدر عنده تعالى في مُلكه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، ومثله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥، و(الْأَمْرَ) وقع مفعولا به فأفاد المأمور به وشمل كل شيء؛ لأنه لا يوجد شيء يخرج عن تدبيره تعالى، وإفراد الأمر يومئ إلى أصل واحد صنع منه القدير كل شيء، تُناظره بالفيزياء المادة الأساسية الأولية؛ كالقطن تُصنع منه كافة المنسوجات، أو القُوة المُفردة التي تولدت عنها القُوى الفيزيائية العاجلة الحركة في انحناء، فوفق التصور العلمي الحالي؛ الفضاء ليس خلاء وإنما مسارات وطرائق مُنحنية، تُجبر الأجرام وحتى الضوء على السير بانحناء، والعُرُوج يتضمن معنى الانحناء كالأعرج يميل في مشيته ويعرُج.

وأقصى بُعد لما يُمكن رصده في الكون؛ الأنسب قياسه بأكبر وحدة زمن في عالمنا، وهي سنة الشمس أو المدة التي تقطعها في مدارها حول مركز المجرة لتتم دورة، فيكون أقصى بُعد كوني على الأقل: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، أما التعبير عن قيمة سرعة الضوء؛ فبيانه التفصيلي المُؤكد: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥، وأما التعبير عن قيمة أقصى بُعد لما يُمكن رصده؛ فبيانه بإيجاز: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤، وتنازعت في كلمة (سَنَةٍ) بالتضمين؛ القيمة (ألف سنة في يوم) تعبيرًا عن أقصى سرعة خالية من (مِمَّا تَعُدُّونَ) إيجازًا، والقيمة (خمسين سنة) تعبيرًا عن أقصى وحدة زمن في عالمنا وهي سنة الشمس، والقيمة خمسين سنة كونية تكافئ عمر الكون؛ أي المدة اللازمة ليقطع الضوء أقصى بعد؛ وهذا يعني أن عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٢] التأصيل الدلالي

في سياق بيان أن كل شيء مأمور؛ أي قائم وفق تدبير لا تصنعه مُصادفة ونظام واحد يشهد بوحدانية الصانع جل وعلا؛ ورد نفس القياس بتفصيل يكشف وجود تقدير ثابت يتعلق بالحد الأعلى للحركة في الكون، يقول تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة ٥، و(الأمر) المُدَبَّر يستقيم أن يعنى (المأمور) لوروده مفعولا به؛ فيوحد كل شيء في أصل واحد ويجعل الكل مُقدرًا، والانتقال لهيئة مواد الأرض ثم العودة إلى الانتقال الحر في انحناء كالأعرج يوحد القوى والمواد في البنية، ويوجز قصة الكون منذ بدايته؛ ويصور التعبير (إليه) نهايته، بعودة الكل إلى الله تعالى لا إلى غيره؛ بيانا لوحدانيته تعالى وتفرده.

وتأكد ثبات مقدار الحد الكوني الأعلى للانتقال على طول عمر الكون إلى نهايته بورود نفس القياس في القرآن الكريم؛ في سياق الإنذار باقتراب نهاية الكون ودمار الأرض وهلاك أهلها، بعذاب قادم بسرعة قصوى لا تحتاج مزيد استعجال، حيث أن أحد طرفيه (يوم) والآخر (ألف سنة) كذلك، يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج:٤٧، والأصل حمل العدد على ظاهر دلالته الإحصائية؛ لا على مُجرد التكثير أو التقليل إلا بقرينة صارفة، وكما يُمكن حمل الإنذار على تقارب أطراف الكون؛ تُحمل الألف سنة على مسافة السير في اليوم بيانًا لحد سرعة القوى المُعبر عنها فيزيائيًّا بسرعة الضوء، وأما التعبير (عِندَ رَبِّكَ) وما يُماثله في القرآن الكريم فلا يعني التحيز؛ وإنما يجعله القياس هنا بمعنى: وفق علمه تعالى في الكون.

وفي سياق الإنذار كذلك بدمار الأرض وهلاك أهلها مع تقارب أطراف الكون وإن بدا حده بعيدًا؛ وردت نفس القيم في قياس أكبر، يُمكن حمله على أقصى بعد؛ يقول تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج:١-١٠، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان (مَعْرَج)؛ كأدق وصف للآفاق الكونية المُمتدة حيث تسري القُوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى الفيزيائية مُنحنية دفع الفيزيائيين لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe، وفي اللغة: "تعارج: حاكى مشية الأعرج، وعرَّجه ميَّله، وتعرَّج مال، والتعاريج المُنحنيات، والعرجون العذق (حامل التمر) المُعوج"[٤].

والملائكة والروح رُسل هداية؛ لا تنقطع عن الإبلاغ، إلى أن يعُود كل شيء إلى الله تعالى لا سواه؛ بيانًا لوحدانيته تعالى وتفرُّدُهُ، وهم حضور في قياس مسافة لا يقطعها جسم مادي محدود السرعة في كون مُتغير الأبعاد؛ مما يوافق الحدس بأن الكون يعج بالحياة والعقلاء وأنه عامر بالساجدين الأتقياء، قال طنطاوي جوهري: "أخذ يستأنف مُبينا ارتفاع تلك الدرجات..، فليس المُراد المُدَّة بل (هي تعبير عن) بُعد المَدَى..، وقدم الملائكة (والروح) لأنهم في عالم الأرواح..؛ العالم المُبرَّأ عن المَادَّة (لأنه)..: لا يُرتقى إلى تلك المعارج (الكونية الشاسعة)؛ إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"[٥]، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها"[٦]، وقال البغوي: "(المقدار هو:) المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"[٧]، يعني: "إلى منتهى (ما) أمر الله تعالى (به)"[٨]، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها..، والمُراد أنها في غاية البعد والارتفاع"[٩]، و"العروج في الدنيا..؛ رُوِي (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"[١٠].

---

[٤] المعجم الوسيط: ٥٩١\٢.
[٥] تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري:ج٢٤ص٢٦٠.
[٦] تفسير البيضاوي ج٥ص٣٨٧.
[٧] تفسير البغوي ج٣ص٤٩٨.
[٨] تفسير البغوي ج٤ص٣٩٢.
[٩] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٨.
[١٠] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٧.

وتتضافر الأنباء لتجزم بأن السماوات حُبلى باليوم الأخير، وأن قُوى الدمار آتية لتطرق الأبواب بأقصى سرعة مُقدرة؛ وتصل بغتة لا يسبقها نذير: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ٧الأعراف:١٨٧، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١، فلا يحتاج إذن مزيد استعجال مع أبلغ قيمة للسرعة في الكون قدرها القدير؛ وأعلنها النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، إنه إذن حدث مُروع مهول ووعد مُحتم تحققه؛ قَدَر مقدور لا سبيل لتجنُّبه، والقيمة الواحدة الثابتة لسرعة القُدُوم تنطق بوحدانية القدير.

وكلما نظرت بعيدًا رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يعُد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيدًا وقد يكون قريبًا، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقَاس أبعد مسافة مُمْكِنَة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبأ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠، والإيجَازُ اعتمادًا على السياق أو سبق بيان عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَت بإيجاز وإجمال بين: (ألف سنة) و(خمسين سنة) في سياق بيان أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس قي مدارها حول مركز المجرة، والقيمة (ألف سنة) ورد بالتفصيل أنها مبنية على سير القمر في منازله النجمية، وإذا ضُمَّت إلى (يوم) عَبَّرَت بإيجاز عن قيمة أكبر سرعة مُقدرة للانتقال في الكون؛ خاصة أنها بنفس النَّسَق: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ السجدة:٥.

وتُقاس الأبعاد فلكيا بأقصى سرعة ووحدة زمن مُناسبة، فنقول: يبعد القمر حوالي ثانية ضوئية، وتبعد الشمس أكثر من ٨ دقائق ضوئية، ويبعد أقرب نجم أكثر من ٤ سنوات ضوئية، فإذا كانت القيمة (ألف سنة في يوم) تعبير بإيجاز عن أقصى سرعة؛ تكون القيمة (خمسين سنة) طبقًا لسياق أكبر وحدة زمن في عالمنا لقياس أبعد ما يُمكن أن يبلغه نظر إنسان في الكون؛ فأكبر وحدة زمن فلكيا هي سنة الشمس وهي مدة دورتها في مدار يخُصُّها.

وهكذا قبل أن تُقَاس المسافات الفلكية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن تُناسب البعد؛ ترد القيمة (خمسين سنة) في سياق بيان أكبر مسافة كونية، ولم يكُن للعرب زمن الوحي ولا سواهم معرفة بها، لتعبر بالتضمين والتنازع في كلمة (سنة)؛ عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُمَاثِل سنة الأرض، وهي: سنة الشمس؛ أي مدة دورتها حول مركز المجرة، وتُسمى: السنة المجرية Galactic Year أو السنة الكونية Cosmic Year[١١]، وهي حوالي: ٢٥٠ مليون سنة أرضية، وهذا أقصى ما يُمكن أن تدل عليه كلمة (سنة) في عالمنا المنظور من الأرض، والنتيجة أن أبعد مسافة مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

[١١] Wikipedia; International World Encyclopedia.

وفي سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[١٢]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاء"[١٣]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[١٤]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ ذَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[١٥]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[١٦]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[١٧]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[١٨]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

---

[١٢] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[١٣] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١٤ ٣٨٤).

[١٤] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (٧\ ٤٣٥).

[١٥] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (٦\ ٥٧٣).

[١٦] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[١٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[١٨] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

وفي النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ قياس لقيمة سرعة (الْأَمْر)؛ بيانًا لتقدير واحد ثابت على طول عمر الكون يقطع بوحدانية القدير، وثبات قيمته دومًا يؤكده: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، قال الأبياري: "فإن يوما واحدا عنده (في تقديره تعالى في مُلكه)؛ يُماثل ألف سنة مما (تَعُدُّون): تُقَدِّرُون وتَحْسَبُون"[١٩].

وقد كانت السنة تُعرف في بيئة العرب بسير القمر في ١٢ دورة حول الأرض الساكنة؛ وفق ما كانوا يعدون بمجرد النظر طبقًا لنظام مركزية الأرض Geocentric Model، ويقتضي قياس قيمة سرعة (الأمر) إذن والمُماثلة لقيمة سرعة الضوء أن: المسافة التي يقطعها القمر في ١٢ ألف دورة يقطعها الضوء في يوم باعتبار سكون الأرض، قال ابن عباس أن القياس: "مِقْدَار سَيْر الأَمْر"[٢٠]، و: "لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[٢١]، و"عَنْ قَتَادَةَ؛ (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ يَقُولُ: مِقْدَارُ مَسِيرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"[٢٢]، والمعنى: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[٢٣]، و"الشَّمْسِ فِي طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الطُّلُوعِ فِي يَوْمٍ؛ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[٢٤]، "لِسُرْعَةِ (الأمر).. لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ"[٢٥].

---

[١٩] إبراهيم بن إسماعيل الأبياري؛ الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب؛ ١٤٠٥هـ (١٠\ ٣٥٨).

[٢٠] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٥\ ٢٧٨).

[٢١] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).

[٢٢] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٨\ ٥٩٢).

[٢٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).

[٢٤] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٤\ ٢٨٦).

[٢٥] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٨\ ٤٣١).

وقال الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ عِبَارَةٌ عَنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) ٩التوبة:٣٦}، وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ١٠يونس:٥، فَجَعَلَ تَقْدِيرَ الْقَمَرِ بِالْمَنَازِلِ عِلَّةً لِلسِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتِ السَّنَةُ مُعَلَّقَةً بِسَيْرِ الْقَمَرِ، وَأَيْضًا قَالَ تَعَالَى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) ٢الْبَقَرَةِ:١٨٩"[٢٦]، وفي "قَوْلُهُ: (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ)..؛ الضَّمِيرُ (يرجع ابتداءً) إِلَى الْقَمَرِ.. لِأَنَّ بِسَيْرِ الْقَمَرِ تُعْرَفُ الشُّهُورُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّهُورَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي الشَّرِيعَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى رُؤْيَةِ الْأَهِلَّةِ، وَالسَّنَةُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ"[٢٧]، فالسرعة إذن في الكون مُقدرة، ولأن سرعة الأمر كسرعة الضوء؛ إذن سرعة الضوء مسيرة ألف سنة قمرية في يوم واحد.

والإصرار في القياس على جعل معيار حركة القمر مما كانوا يَعُدون بمجرد النظر؛ يتفق مع المعرفة حديثًا بأنها نسبية، والقياس يتطلب أن تكون وفق ما كانوا يظنون من سكون حركة الأرض والقمر حول الشمس؛ فتُصبح قيم حركته مُجردة وثابتة، فلا يُدرك أنه يدور مع الأرض حول الشمس إلا مُراقب خارج النظام الشمسي، والناظر بالعين المجردة لا يُدرك أن بُعده يتغير شهريا بنسبة حوالي: ١١% من البعد الوسطي؛ وكذلك سرعته، فهي بالنسبة إليه مُستبعدة، وإذا استبعدت وأجري الحساب وفق ما كانوا يعُدون تُطابق النتيجة قيمة سرعة الضوء؛ وهي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، والإصرار إذن على تجريد حركة القمر حول الأرض من نسبة زائدة؛ لا بد من تضمُّنُه حكمة باعتبارها زيادة ظاهرية، فهم كانوا يحسبون الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب؛ كما لو كانا في نظام معزول عن أي تأثير خارجي، وبهذا الاعتبار تُصبح حركة القمر كأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت فتتحقق الدورة الحقيقية المُجردة.

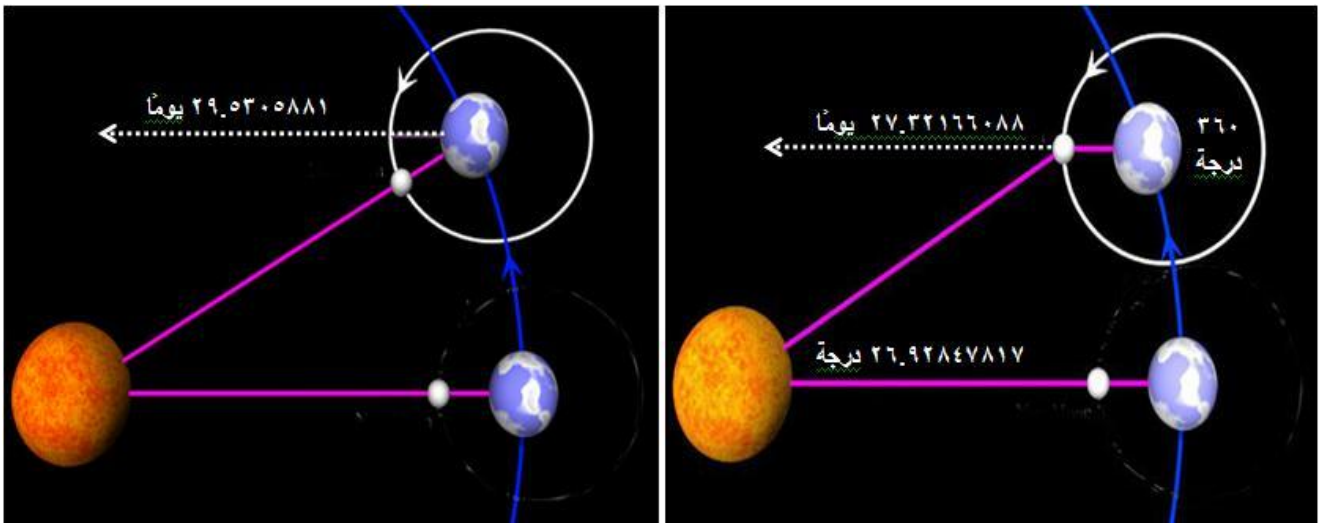

ومعلوم فلكيًّا أن القمر يتم دورته بالنسبة للنجوم Sidereal Month في: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا، بينما الشهر القمري Synodic Month: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، والزيادة ناتجة عن تحرك الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، واليوم بالمثل بالنسبة للنجوم: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، والزيادة كذلك ناتجة كذلك عن تحرك الأرض أثناء حركته حولها.

[٢٦] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٦ ٤٠).
[٢٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٧ ٢٠٩).

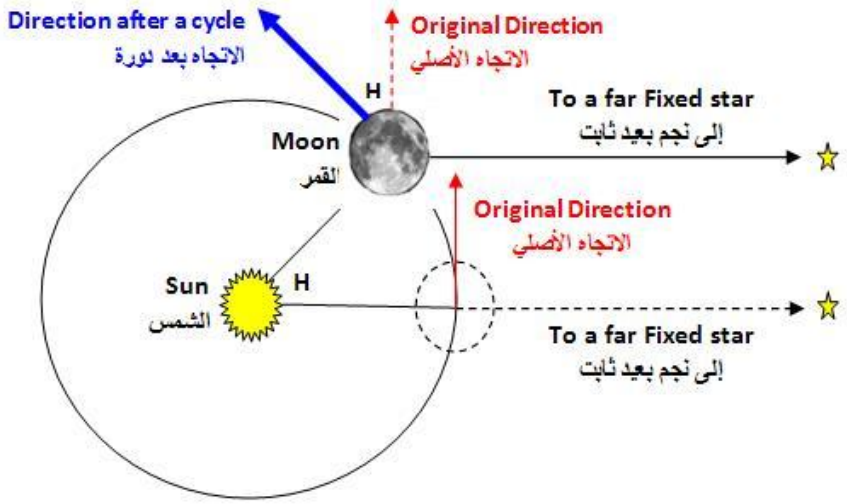

ومعلوم فيزيائيًّا أن جميع قوانين حركة الأجسام؛ لا تكون ثابتة إلا في نظام معزول عن التأثيرات الخارجية، وأن أي تأثير خارجي على حركة جسم يُكسبه تسارع Acceleration؛ ينعكس إما على تغير سرعته أو اتجاهه، وبالنسبة للنجوم يكتسب القمر كل دورة حول الأرض زاوية حول الشمس: ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي: ٢٧) درجة[٢٨]، وتغير اتجاهه إذن بالنسبة لنجم بعيد ثابت كل دورة حول الأرض يعني اكتساب قيم حركته المرصُودة فلكيًّا نسبة تسارع، وبتحليل مُركبة سرعته المدارية إذن في الاتجاه الأصلي بعد دورة حول الأرض تتعين نسبة سرعته المُجردة[٢٩]: ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣[٣٠]؛ حوالي: ٨٩% من متوسط سرعته المدارية، والنسبة المُتبقية: ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ هي النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، أي ضعف قيمة نقصان الاستدارة Eccentricity (e)؛ حوالي: ٠,٠٥٥، فهي إذن تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركته مع الأرض حول الشمس، حيث تُكافئ النسبة (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته الحقيقية المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما يعدون، وإذن الشرط المُذهل: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد أوجز المعايير الفلكية والفيزيائية لإقامة علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري، وبذلك تتحقق المساواة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والمسافة التي يقطعها القمر بحركته المُجردة في ألف سنة؛ أي أن سرعة الضوء غير لحظية وإنما مُقدرة وقيمتها دومًا ثابتة؛ ولا تتجاوز في يوم مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة.

قال النابلسي: "القرآنَ يُخاطِبُ أناساً يعتمدون السَّنَةَ القمَرية، حيث إنّ القمرَ يدورُ حولَ الأرضِ كلَّ شهرٍ دورةً..، (وقد) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ منَ الكيلومترات في رحلته حول الأرض في العامِ، ولو ضربناها في ألفٍ لعرَفْنا ما يقطعُه القمرُ في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ..، (و) القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ، بدليلِ أنّنا لو قَسمنا ما يقطعه القمرُ في رحلته حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ على ثواني اليومِ؛ لكانت هذه النتيجةُ هي سرعة الضوء في الثانية، وهي مائتان وتسعة وتسعون ألفاً وسبعمائة واثنانِ وتسعونَ كيلومتراً ونصف كيلومتر؛ وهذه النتيجةُ تتفقُ تمامًا مع سرعةِ الضوءِ..، مع العلمِ أنّ سرعةَ الضوءِ هي أهمُّ قانونٍ عرفتهُ البشريةُ في القرنِ العشرين، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاص حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ؛ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضيّ واحدٍ"[٣١].

---

[٢٨] السنة النجمية: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يوما، إذن الزاوية التي تغير اتجاه القمر بالنسبة لنجم بعيد كل دورة = (شهر نجمي\سنة نجمية) × ٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة.

[٢٩] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[٣٠] جيب تمام (جتا) ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣.

[٣١] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٢ ٢٢).

وباختصار: شرط القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ المذكور بإصرار لوصف الألف سنة، عائد على معنى الألف سنة في السياق، قال القرطبي: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ.. (أي) لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[٣٢]، وقال القاسمي: "ألف سنة من سنيكم"[٣٣]، وقال أبو حيان: "(و) السَّنَةَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ، وَهَذَا الْحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾ ١٠يونس:٥"[٣٤]، والشرط: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ يفرض حساب حركة القمر وفق ما يعدون مُستبعدين حركته حول الشمس ونسبة تغير بعده (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وباستبعادها يتحقق القياس بالفعل في نظام حسابي افتراضي في معادلة كلا طرفيها في نظام معزول، وبالتالي تظل العلاقة ثابتة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والتي يقطعها القمر في مداره بسرعته المجردة.

قال ابن عجيبة: "إن سرعة.. أكثر من سرعة..، كما يقول القائل: من موضع كذا إلى كذا مسيرة شهر للفارس وشهرين للراجل؛ وعليه يخرج قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)"[٣٥].

والسرعة الوسطية للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ثانية[٣٦]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ ثانية تُحقق قيمة سرعة الضوء المُعتمدة عالميًّا منذ عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية[٣٧]؛ حيثُ أن مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة بالنسبة للنجوم = (١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ ×٨٦٤٠٠) ×(١٠٠٠×١٢) ×(٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) كم = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، واليوم بالنسبة للنجوم = ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة التقريبية المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية.

قال الألوسي: "وإن لم تبعُد هذه السُّرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[٣٨]، وقال محمود شكري حفيد الألوسي: "(وإن) من (النجوم).. مَا لَا يصل نُورَهُ إِلَى الأَرْض فِي مئة سنة بل أَكثر؛ مَعَ شِدَّة سُرعَة الضَّوْء"[٣٩]، ولم يكن لبشر حين نزل القرآن الكريم أن يُدْرِك أن سرعة الضوء لا نهائية ليجازف مُتَحَدِّيًا ويجعل سرعة الانتقال في الكون محدودة؛ بل ويقدرها بسير القمر أقرب الجيران وأنيس العرب؛ حتى أنهم جعلوا موعد الهلال أساس تقدير السنة، قال ناصر مكارم: "هذا يدلّ أنّ تعابير القرآن إلى أيّ مدى عميقة وذات معنى غزير، وفي طيّات تعابيره حقائق كامنة؛ إذا لم يُقَدَّر لها أن تُعرف في عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان"[٤٠].

وقد صاغ ماكس بلانك أقل مسافة لموجة (١٠^-٣٨ كم) وأقل زمن لحدوثها (١٠^-٤٣ ثانية)؛ باعتبار سرعة الضوء ثابتة منذ بدء الخلق (١٠^٥ كم\ ثانية)، واعتبرت تلك خصائص اللبنة الأساسية الواحدة للكون كله في المفهوم التوحيدي الحديث مثل فكرة الوتر الفائق، وخطى أينشتاين خطوة ضخمة بتوحيد المادة والطاقة بنفس سرعة الضوء ثابتة القيمة ($E = mc^2$)، فإذن قيمة سرعة الضوء هي المعيار لتحول القوى إلى مواد لتشيد الذرات والمجرات؛ وهي الحد الأعلى للانتقال في الكون، قال القاسمي: "﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.. لا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها.. ما عنده تعالى من المقدار"[٤١]، وثبات التقدير بسرعة واحدة ثابتة في الكون كله وعلى طول تاريخه؛ برهان ساطع يشهد للفطين بوحدانية المُبدع القدير.

---

[٣٢] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١\ ٨٧).

[٣٣] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\ ٢٥٣).

[٣٤] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٥\ ٤١٤).

[٣٥] العباس أحمد بن عجيبة الحسني النطواني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ؛ تفسير ابن عجيبة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المكتبة الشاملة (١٤\ ٣٨٧).

[٣٦] Laros Astronomy, p.142.

[٣٧] Oxford Encyclopaedia, p316.

[٣٨] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٥\ ٦٥).

[٣٩] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (١\ ٤١).

[٤٠] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٧\ ٢٧٣).

[٤١] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\ ٢٥٢).

الوظائف الدلالية للشرط (ممَّا تَعُدُّونَ):

في القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، النسبة للعرب تجعل السنة بحركة القمر حول الأرض ليتم ١٢ دورة ظاهرية على ما كانوا يعهدون، وشرط تحقق القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) عائد على معنى (أَلْفَ سَنَةٍ) في السياق؛ وهو قطع القمر لمسافة بحركته الفلكية، والتعبير (تَعُدُّونَ) جامع لمعنى الإحصاء والعدد؛ ومعنى التوهم والظن، مثل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ٣٨ص:٦٢؛ ووفق نموذج مركزية الأرض Geocentric System كان مُعتقدهم بحسب النظر بالعين المجردة من سطح الأرض؛ أنها ساكنة لا تدور حول الشمس، وأن القمر يدور حولها فحسب؛ ولا يدور معها حول الشمس، فأفاد التعبير (مِمَّا تَعُدُّونَ) إذن بأصل وضعه اللغوي بأن ما يتوهمُون ويظُنون من الحركات الفلكية لا يُطابق الواقع، وطابقت الدلالة المفهُوم الفلكي الحديث؛ في أن القمر بخلاف ما يظُنون يدور حول الشمس مع الأرض أثناء دورانه حولها.

وكما تُحَدَّد حركة السفن في البحر بنسبتها إلى نقطة ثابتة على الشاطئ؛ تُحَدَّد حركة القمر بالنسبة لنجم ثابت، والإصرار إذن على إجراء الحساب وفق ما يعدون من سكون حركة القمر حول الشمس ليتحقق القياس؛ لا يكون إلا بالنسبة لنجم ثابت، فهو إذن إجراء افتراضي لحساب المدة الحقيقة لدورة القمر حول الأرض؛ ودورتها حول نفسها بالنسبة لنجم ثابت.

والشهر الحسابي ليتم القمر دورة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم في منازله النجمية يقل عن الشهر القمري المرصُود بحوالي يومين؛ والزيادة الظاهرية ترجع فلكيًّا لتحرك الأرض في مدارها حول الشمس أثناء دورته حولها، وبيانه: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٦يس:٣٩، فالنسبة للمنازل النجمية، والعرجون القديم تشبيه لهلال آخر الشهر بالشمروخ اليابس حامل التمر، ودورة القمر بالنسبة لنجم: من هلال أول الشهر إلى هلال آخره بدون المحاق، قال الألوسي: "القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يومًا وثلث يومًا"[٤٢]؛ وقاله أيضًا أطفيش[٤٣]، وقال العاني: "المنازل سبعة وعشرون وثُلث"[٤٤]، وبنسبة حركة الأرض حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد كذلك؛ يقل اليوم بحوالي أربع دقائق.

---

[٤٢] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٢\ ١٦).

[٤٣] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٨\ ٣٦١).

[٤٤] عبد القادر بن ملّا العاني؛ بيان المعاني، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الأولى؛ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م (١٢\ ٤٢).

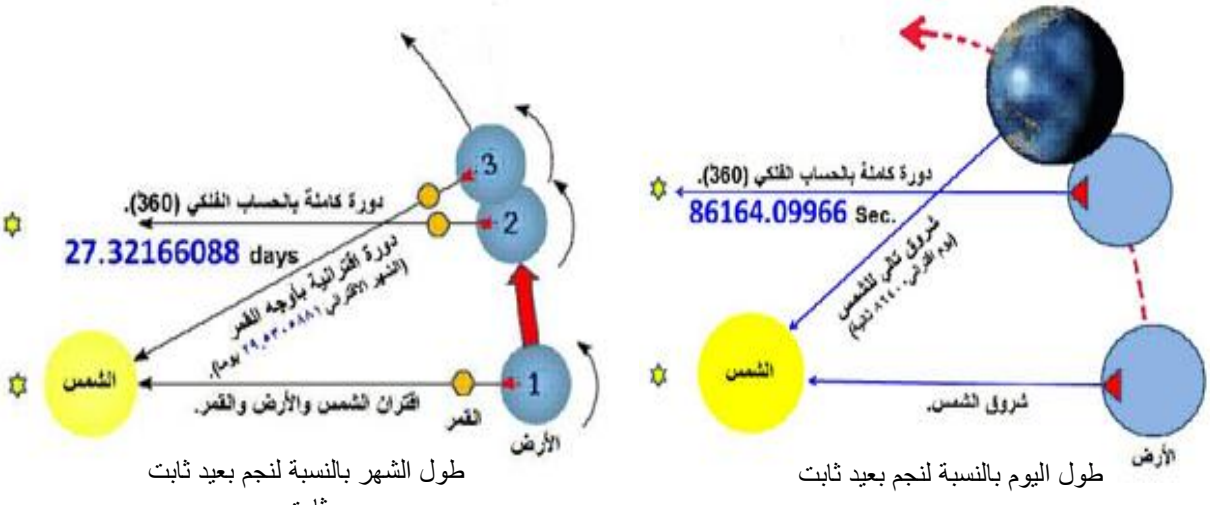

طول اليوم بالنسبة لنجم بعيد ثابت

طول الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت

فهناك إذن فارق بين الحركة الفلكية الظاهرية اعتمادًا على الرصد؛ وبين حساب الحركة الفعلية قياسًا على المنازل النجمية، وهو مُقتضى التعبير الجامع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٧الإسراء:١٢، وحرف (الواو) يُميز بين عدد السنين القائم على الحركة الظاهرية للشمس والقمر لعامة الناس؛ وبين الحساب الفلكي لحقيقة الحركة لأهل الاختصاص.

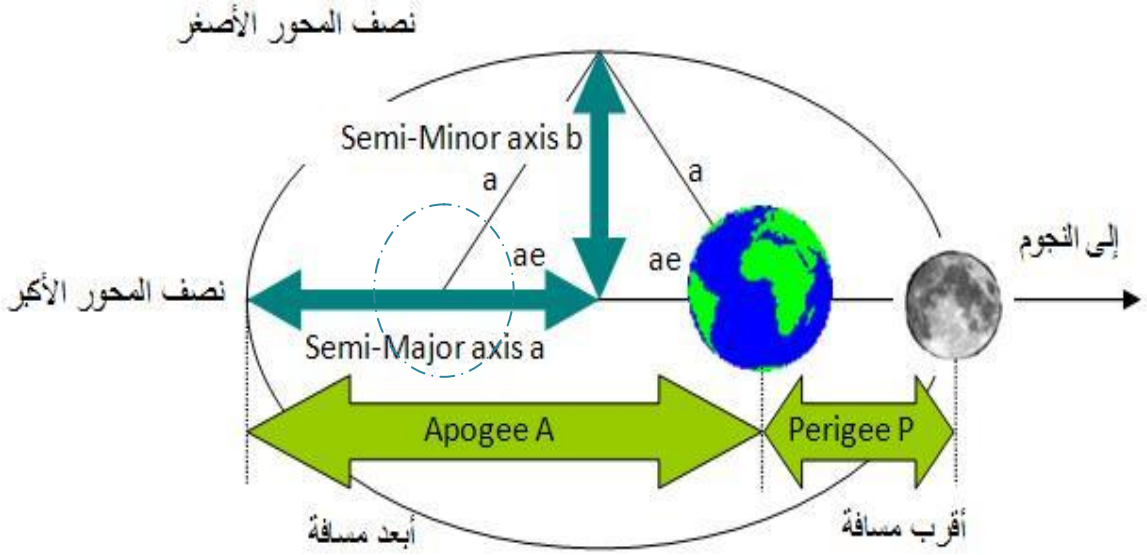

والقمر في الواقع مُتغير السرعة والبُعد عن الأرض؛ وكلما اقترب يزداد حجمه لكون مدارُه بيضاوي (قطع ناقص) Ellipse ذو بؤرتين[٤٥]، وليس دائرة ذات مركز واحد، ومتوسط درجة انحراف كل بؤرة عن الدائرة Eccentricity (e) (ae/a) حوالي: ٠,٠٥٥[٤٦]، ومعدل التغير Variation Ratio كل دورة في متوسط البعد أو السرعة (2ae/a = 2e) حوالي: ١١%، ولذا في كل دورة تتغير درجة سطوع القمر بنسبة حوالي: ١١%[٤٧]؛ ويتغير حجم قرصه بنسبة حوالي: ١١%[٤٨]، وهي نسبة لا تكفي كي تلاحظها العين المجردة؛ ولذا كانت في عُرف القدامى قبل القرن السابع عشر في حُكم المُستبعدة، وأول من أدرك بيضاوية مدارات الأجرام السماوية هو يوهانز كيبلر Johannes Kepler (١٥٧١-١٦٣٠).

[٤٥] في المدار البيضاوي أو القطع الناقص؛ مجموع بُعد أي نقطة على المدار عن البؤرتين يبقى ثابتا.

[٤٦] Chong-Hung Zee; Theory of Geostationary Satellites, Library of Congress, Chapter 4: Sun and Moon effect; 1988 (86).

[٤٧] http://aa.quae.nl/en/antwoorden/maan.html

[٤٨] https://www.lhup.edu/~dsimanek/3d/moonillu.htm

مقطع بيضاوي في ثمرة خيار

مقطع دائري في ثمرة خيار

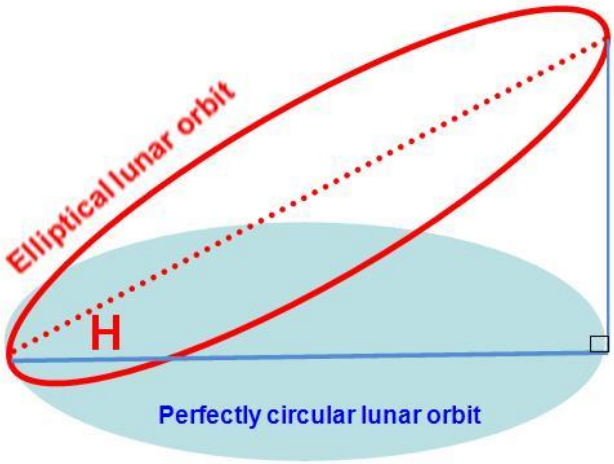

المدار البيضاوي
المرصُود فلكيا

المدار الدائري الافتراضي
في النظام المعزُول

The perfectly circular orbit of the moon in the isolated earth-moon system is the projection of the astronomically based elliptical one.

المدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول مسقط المدار المرصود فلكيا.

والمدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول أشبه بمقطع عرضي دائري في ثمرة خيار؛ أما القطاع البيضاوي فينتج بقطع الثمرة بميل بنفس الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة، أي أن المدار الدائري هو مسقط المدار المرصود.

ولو كان مدار القمر كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit كما كانوا يعُدون؛ فستكون سرعته بحركته الذاتية حول الأرض الساكنة ذات قيمة ثابتة على كل نقاط المدار وخالية من نسبة التغير: 2e، وستكون مُتعامدة دومًا على القُطر؛ وستكون الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة: صفر، أي أن مركبة سُرعته بعد دورة لم يتغير اتجاهها الأصلي (جتا صفر = ١)، وكأن حركته بالنسبة لنجم في خط مستقيم؛ أي في نظام معزول Isolated System عن التأثير الخارجي.

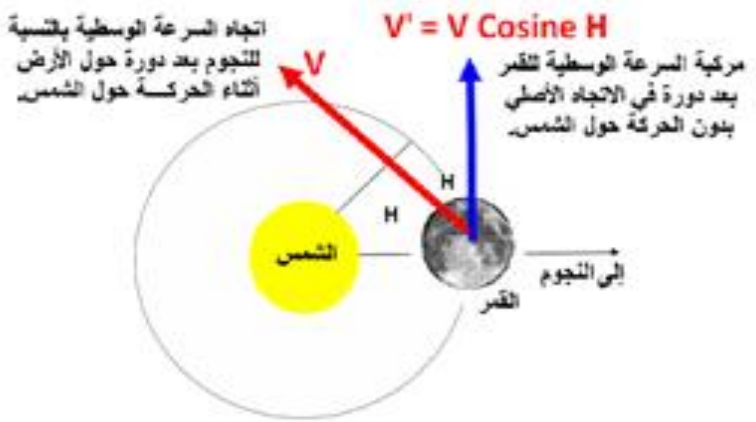

والمدار المرصُود فلكيًّا للقمر وهو يدور مع الأرض حول الشمس ليس دائريًّا؛ وتُعاني معايير حركته من نسبة تغير (2e)، وبالنسبة لنجم يقطع حول الشمس زاوية (H) قدرها: (شهر نجمي\ سنة) × ٣٦٠ = (٣٦٥,٢٥٦٣٦ \٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨) ×٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة، أي أن سُرعته بعد دورة قد تغير اتجاهها بالنسبة للنجم بنفس الزاوية، والمعلوم فيزيائيا أن السرعة مُتجه Vector كالقوة؛ لا يتغير اتجاهها ولا قيمتها في النظام المعزول إلا باكتساب تسارع Acceleration نتيجة تأثير خارجي[٤٩]، ويُمكن استبعاد نسبته من السرعة الوسطية بتحديد نسبة مُركبة الزاوية في الاتجاه الأصلي بعد دورة (جتا ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) [٥٠]، والنسبة المُتبقية (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركة القمر مع الأرض حول الشمس، وهي تُكافئ النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما كانوا يعدون.

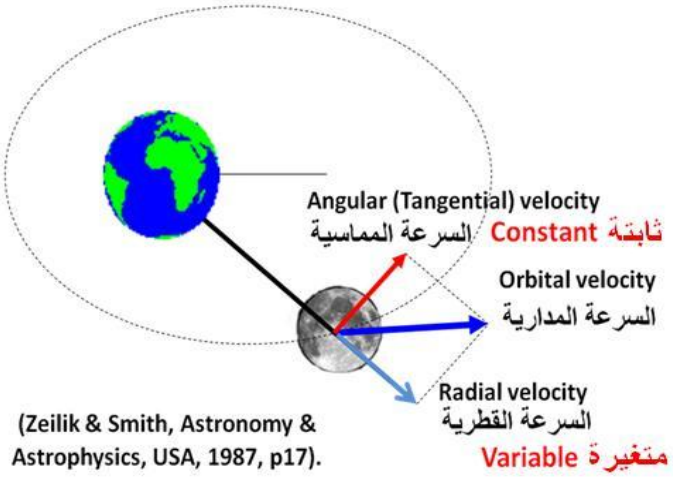

وبتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تخضع للتغير من نقطة لأخرى وتسمى السرعة القطرية Radial Velocity، ومركبة متعامدة على القطر تصنع معه زاوية قائمة وتسمى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة الأمامية العاملة بالنظام الأرض قمري المعزول؛ وقيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار باعتبارها مماسية، ولذا تسمى أيضًا السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17)[٥١].

---

[٤٩] http://www.physicsclassroom.com/class/circles/Lesson-1/Acceleration
http://www.studyphysics.ca/newnotes/20/unit01_kinematicsdynamics/chp04_acceleration/lesson10.htm

[٥٠] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[٥١] Zeilik & Smith; Astronomy & Astrophysics, USA, 1987, p.17

وقيمة السرعة الوسطية في المدار المرصود للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية[٥٢]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ ثانية تُحقق القياس؛ حيث تكون السرعة المُجردة للقمر في النظام الأرض قمري المعزُول: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣ = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، وهي قيمة افتراضية استنتاجيه مرجعها مُتوسط السرعة في المدار المرصود؛ يفرضها شرط تحقق القياس باعتبار سكون الحركة حول الشمس: (مِمَّا تَعُدُّونَ)، ويُمكن الحصول على نفس النتيجة باستبعاد نسبة التغير (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧؛ من قيمة السرعة الوسطية للقمر.

وزمن دورة للقمر بالنسبة لنجم: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية؛ إذن المسافة المُجردة التي يقطعها كل دورة: السرعة المجردة × زمن دورة = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٢٣٦٠٥٩١,٥ = ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم؛ وفي ألف سنة (١٢ ألف دورة): ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ × ١٢٠٠٠ = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية[٥٣]، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية[٥٤].

وليس الغرض بلوغ القيمة المُتفق عليها فيزيائيا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس؛ خاصة أن جميع معايير حركة القمر حول الأرض وسطية بناء على الرصد لمدد طويلة، وليست بدقة قيمة سرعة الضوء؛ بل وحتى قيمة سرعة الضوء نتيجة إحصائية لعدة قياسات، وقد تكون أعلى قليلا في الفضاء أو الفراغ التام، ولكن الغرض هو التدليل على أن علاقة اليوم والألف سنة في بيان سرعة قُصوى مُقدرة، وأنها مُدَّخَرَة كآية في عصر العلم على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته.

ولم ينتهي دور القيد (مِمَّا تَعُدُّونَ) عند حد تجريد مدار القمر من الزيادة الظاهرية المُتضمنة نتيجة الحركة حول الشمس؛ وإنما يُقيم علاقة ثابتة كلا طرفيها في نظام معزول: الحركة المُجردة للقمر حول الأرض والقيمة الثابتة لسرعة الضوء بالفراغ، وهي تكشف وحدة الأرض والقمر مع الشمس في الأصل ومادة التكوين ونظام الحركة منذ نشأة النظام الأرض قمري، لأن السرعة الابتدائية تظل محفوظة في نظام حركة التابع حول المتبوع؛ طالما ظل معزولاً عن التأثير الخارجي.

والدلالة الضمنية كذلك أنه بخلاف ما يعدون بالعين المجردة؛ مدار القمر بيضاوي ذو بعد أكبر، وكذلك كل الأفلاك؛ لأن (مِمَّا تَعُدُّونَ) تعني من ضمن عَدِّكُم أو الذي تَعُدُّون؛ فتشمل كل ما يتصورون ويتوهمون من الحركات الفلكية، ونظيره التعبير التصويري: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ٤٣الزخرف:٣٨، حيث يستقيم حملهما على المسافة بين أبعد نقطتين في المدار البيضاوي للأرض حول الشمس؛ وتكافئ البعد الأكبر، فتأمل كيف أدى شرط القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) على بساطته جُملة وظائف دلالية؛ باعتبارها براهين على التقدير ووحدانية القدير!.

---

[٥٢] Laros Astronomy, p.142.

[٥٣] http://www.speed-light.info/

[٥٤] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

[٣] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة يثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

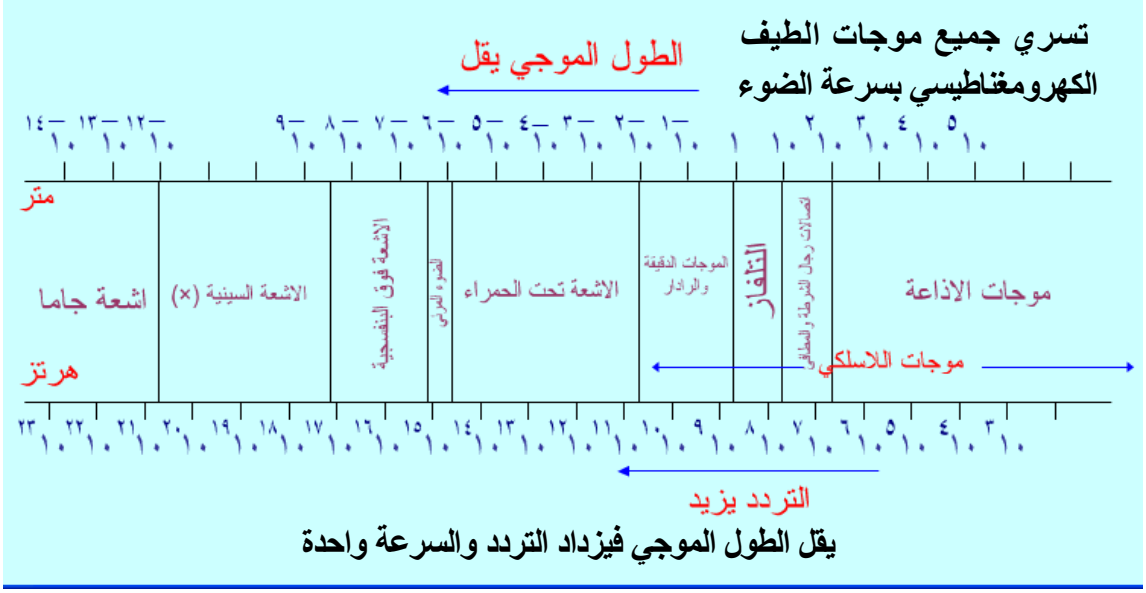

يقل الطول الموجي فيزداد التردد والسرعة واحدة

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

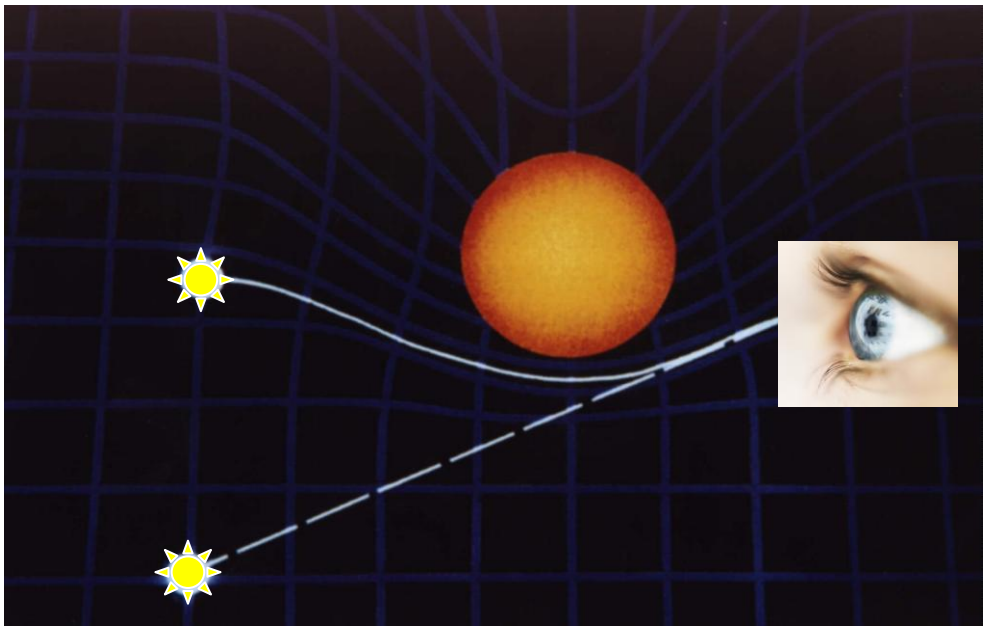

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة مُتوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

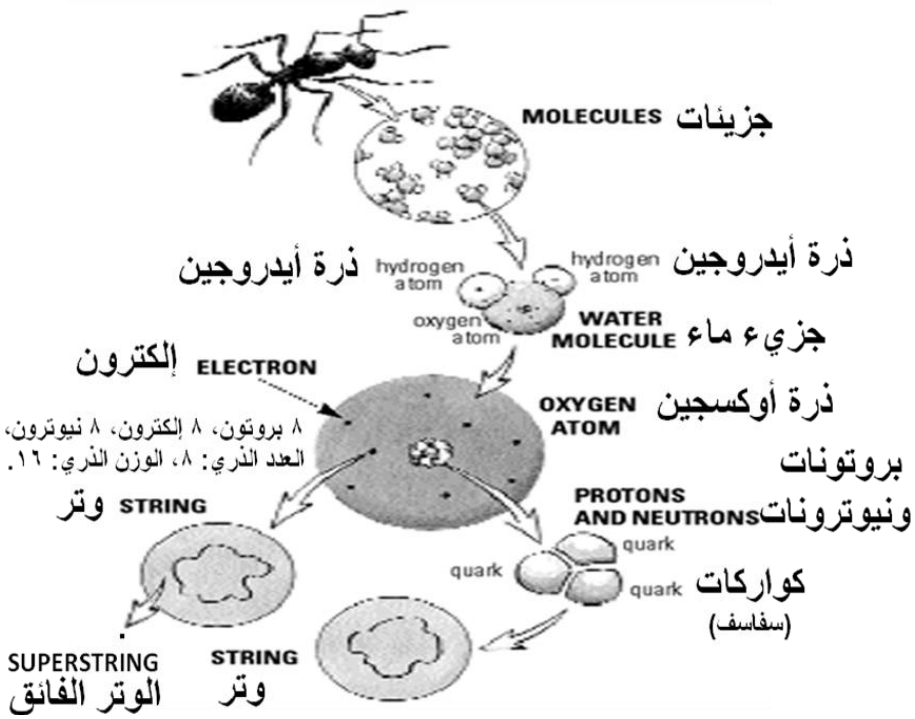

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام مُتباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[٥٥]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

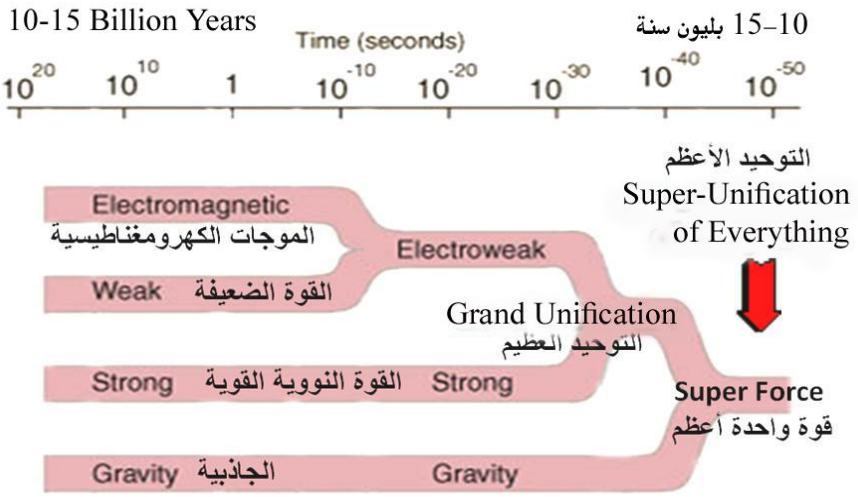

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة:٣٢/٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

[٥٥] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[٥٦]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[٥٧].

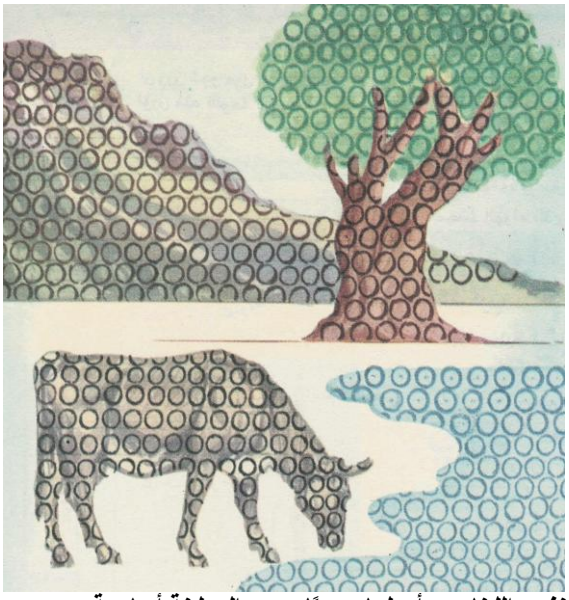

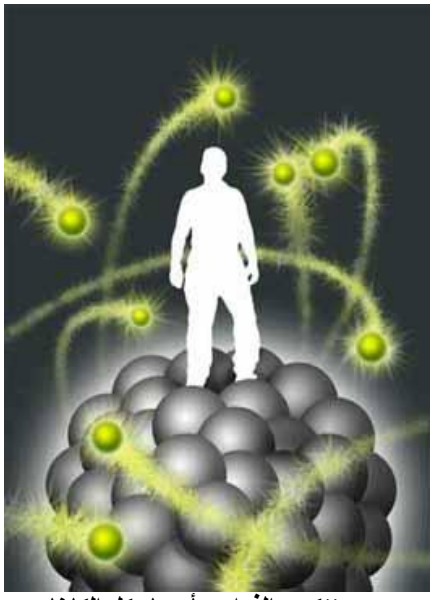

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[٥٨]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[٥٩]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[٦٠]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[٦١]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل بنيته وأساس خلقه الحركة في عجل: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

---

[٥٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢ \ ١٨٠).
[٥٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\١).
[٥٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٥٩ \ ٢١).
[٥٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\٢٤).
[٦٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٣٢ \ ٢٠).
[٦١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٨٨ \ ١٥).

[٤] التفصيل الدلالي

(١) نهاية الكون تقترب بأقصى سرعة مُقدرة:

في النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ٢٢الحج:٤٧؛ يتعلق الوعد هنا ابتداءً باليوم الأخير، حيث يهلك كل شيء؛ ويُبعث الإنسان بعد الحساب في عالم جديد، وفي القرآن الكريم: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ٨٥البروج:٢، ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ٣٨ص:٥٣، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٥١الذاريات:٥و٦، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٩٧، إذن الأمر قد صَدَر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تَقُوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

ولا نرى في الكون سوى الماضي بسبب سرعة الضوء المحدودة، والأحداث الكونية الآنية غيب، وأمر الساعة القادم بالعذاب سرعته تماثل سرعة ضوء البرق في جو الأرض؛ بل هو أسرع قليلا في الخلاء، فلا يحتاج مزيد استعجال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦النحل:٧٧، قال الواحدي: "يصف سرعة.. الإتيان بها"[٦٢]، وقال الشوكاني: "لَيْسَ هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ؛ بَلْ هُوَ كَلَامٌ فِي غَايَةِ الصِّدْقِ"[٦٣].

هذا هو إذن الوعد الحق؛ نذير الرسل للأمم، والمُعْلَن اقترابه صريحًا: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٩٧، إذن الأمر قد صَدَر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تَقُوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

(٢) تشبيه الذات العلية لا يعني التحيز ولا الندية:

والتعبير ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ لا يعني التَّحَيُّز وتحديد مَكَان ولا النِدِّية؛ فالجليل مُستعلي عن مشابهة ما خلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢الشورى:١١، فهو إذن أسلوب بياني تمثيلي بليغ لتقريب المعاني تصويرًا لدلالات يُقَدِّرُهَا السياق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، قال القماش: "إياك أن تفهم من (العندية) أنها عندية المكان؛ لأن المكان مُحَيَّز، وربنا عز وجل لا يتحيز في مكان"، وفي سياق بيان قيمة واحدة ثابتة مقدرة للانتقال في الكون أجمع؛ العندية ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ تعني في تقديره تعالى وعلمه بتدبيره في العالم كله، قال محمد سيد طنطاوي: "في تقدير الله تعالى"، وقال أبو حيان: "المراد من العندية العلم"[٦٤]، وقال الألوسي: "(أي) في حكمه"[٦٥و٦٦]، وقال الشوكاني: "وقضائه"، وقال الشعراوي: "(لأن) الله جل جلاله لا يَحُدُّهُ زمان ولا مكان..، واقرأ (إذن) قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائكة والروح إِلَيْهِ﴾".

---

[٦٢] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (٣\ ٧٥).

[٦٣] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣\ ٢١٨).

[٦٤] أبو حيان ٣٦٢\٥.

[٦٥] تفسير الألوسي ٣٢٧\١.

[٦٦] فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٦/ ٢٢٦).

فلفظ (إِلَيْهِ) إذن لا يعني في حق الذات العلية التحيز والتجسيم وتحديد مكان؛ وإنما يُخْبِر عن فناء العالم وعودة الأمر كله للمُجَازِي يوم الحساب على الأعمال وحده تعالى؛ بيانًا لنفاذ مشيئته تعالى ووحدانيته، قال الألوسي: "(وهذا الوجه) معنى لائق به تعالى مجامع للتنزيه مُبَايِن للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله"[٦٧]، وقال الواحدي: "﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.. كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾؛ أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه، وقال ابن عطية: "وفي القرآن منه كثير نحو قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، وقوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾، وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾؛ وهذا كله بريء من التحيز"[٦٨].

وبالكاد تومئ الفيزياء لانكماش الكون وطي الأطراف، لاكتشاف مادة غير منظورة بكميات هائلة تُرَجِّح انكماش الكون سموها المادة السوداء Black Matter، ولسرعة الضوء المحدودة؛ الأحداث الآنية في الأطراف البعيدة للكون غيب لا يَمكن لغيره تعالى إدراكه، ولا نُعَاين منها سوى ما حدث في الماضي البعيد، وعناقيد النجوم حزم تُشَكِّل طوابق اللبنات الكبرى للكون؛ حتى أقصى ما يُمكن رصده وإدراكه، والمجرات العظمى تبدو بالطيف في ابتعاد، فتعنى أن الكون كان يتوسع في الماضي ولا تعني أنه يتوسع الآن بلا انتهاء؛ وقد قضت الكشوف على وهم سرمدية المادة أو الحالة الثابتة Steady State Theory، ولو كان الكون ينكمش ولبناته الكبرى تقترب؛ فلن يُخْبِرُنا إذن بعلامات النهاية إلا الطرف الأقرب.

والطرف الأقرب للكون ينذر بالانكماش الآن، فأقرب مجرة؛ المرأة المسلسلة Andromeda، كمثال تبدو مقتربة بسرعة قُدِّرَت بحوالي ٣٠٠ كم/ثانية[٦٩]، مع أن الضوء المرصود الآن قَدِمَ منها منذ ما يزيد عن ٢ مليون سنة ضوئية، واقترابها علامة تنذر بقرب وصول قوى الدمار بَغْتَةً لا يسبقها نذير للسرعة القصوى التي لا تَتَطَلَّب مزيد استعجال، والقرآن الكريم قد أعلن مرارًا بصريح العبارات أن العالم كله في اِحْتِضَار؛ وأن على الفَطِينْ أن يَسْتَعِد ويَتَزَوَّد للرَّحِيلْ، وفي سياق الجزم والتقرير لا التشبيه للتقريب؛ يقطع القدير بالنبأ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ محمد: ١٨؛ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل: ١، والآفاق إذن مُثْقَلَة كالحُبْلَى على وشك الوضع: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧.

وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ هود: ١٢٣، أصل الرجوع العودة والارتداد بعد ابتعاد، والقراءة (يُرْجَعُ) تُضَافِرُهَا قراءة الجمهور (يَرْجِعُ)، وكليهما مضارع يدل على حدث آني، فالمعنى يستقيم مع عودة الكون وانكماشه بعد امتداد؛ وهو يرجع لمدبر الأمر كله، قال الإستانبولي: "{يُرْجَع}.. بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يُرَدُّ (التدبير لمراده تعالى)، وبفتح الياء وكسر الجيم {يَرْجِع} بمعنى يَعُودُ (الأمر)"، وورود (الأمر) رديفًا للسماوات والأرض يجعله تعبيرًا بالأصل استجابة للأمر (كن)، وهو يعني أن الكل مُدَبَّر مَأْمُور منذ الابتداء؛ وأن الكل سوى الباري عارض زائل.

ولفظ (إليه) يَحْصُر فاعل عودة الكون لحاله الأول بالعلي القدير؛ ولا يعني التَّحَيُّز والمَكَان مخالفًا مبدأ التوحيد، قال الرازي: "حرف (إِلَى).. ليس الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَكَانَ بَلِ الْمُرَادُ انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ"، والوعيد بقرب خراب العالم توطئة للقيامة والحساب؛ يوافق مواضع تُنْذِر بأن النهاية قريب على الأبواب، قال الراغب: "وقوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}.. كقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}"، وقال الشعراوي: "{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمر كُلُّهُ}.. في ذلك تنبيه لكل إنسان؛ ليعمل مُسْتهدفاً النجاة.. يوم القيامة"، ولفظ (كُلُّهُ) تأكيد لعودة الكون أجمع لحاله الأول بدون أدنى زيادة في مادته ولا نقصان، فيوافق وصف الكون في الفيزياء كنظام مُغْلَق طاقته ثابتة بلا تغيير؛ فأين إذن من أثر لشريك مع الواحد الأحد القدير!.

---

[٦٧] روح المعاني ج٢١ص١٢٢.

[٦٨] ابن عطية السجدة ٥.

[٦٩] The First Three Minutes, Steven Weinberg, p30

(٣) سرعة الضوء ثابت كوني:

كانت السنة عند العرب والعبرانيين تقوم على سير القمر؛ قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"[٧٠]، و(الألف سنة) زمان يُعَبِّر كمعهود القدماء عن مسافة تُقطع في زمن، فيعني في سياق بيان السرعة؛ مسافة فلكية هائلة لا نظير لها على الأرض، هي الأنسب لقياس الحد الأعلى لسرعة الانتقال بالكون، قال الألوسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"[٧١]، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، والعذاب بالأمر القادم بسرعة الضوء: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾؛ هو نفسه العذاب الذي يستعجل قدومه الغافلون استخفافًا، وهو قادم بسرعة لا مزيد عليها فلا تحتاج مزيد استعجال، ومقدارها المُقَدَّر للانتقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، فهو إذن مقدار سرعة الضوء، قال القماش: "﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.. كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾"[٧٢]، وقال القماش أيضًا: "في (هذا القياس) لا تتجاوز.. مسافة اليوم بأقصى سرعة.. مسافة ألف سنة بحركة ما تُبْنَى على حركته السنة، ويصلح الوصف ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ لتمييز حركة القمر المُتَضَمِّنَة سياقًا والتي تُبْنَى عليها السنة، ولا يصلح أن يكون تمييزا للسنة القمرية؛ لأنه يُحَدِّد مُخْتَار من مُتَعَدِّد؛ وهم لم يستخدموا غيرها في التقويم، وهو يعني: من الذي.. تَظُنُّون؛ وليست السنة محل ظن، وبذلك يشترط السياق لتعريف السرعة القصوى؛ أن تكون حركة القمر وفق ما.. يَظُنُّون (لأنه الأنسب لقياس قيمة ثابتة)؛ وإن كان الواقع بخلافه"[٧٣].

والسنة عند العرب تقوم على سير القمر؛ والتقويم القمري هو المُعتبر في التشريع، قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"، وفي القياس لا تتجاوز مسافة يوم بأقصى سرعة مسافة ألف سنة بسير القمر، ويصلح القيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تمييزًا لحركته المُتَضَمِّنَة سياقًا؛ بجعلها وفق ما كانوا يَظُنُّون من سكون حركة الأرض حول الشمس، لإقامة معادلة طرفيها في نظام معزول؛ ومعنى الظن يفيد أن الواقع بخلافه، وحد سرعة الانتقال بالكون لا يزيد عن: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، ولا يمكن لمادة أن تبلغه ولا لقوة أن تتجاوزه.

لم يُقَدَّم الدليل الأول على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية؛ إلا عام ١٦٧٦عندما نجح أولاس رومر للمرة الأولى في التاريخ من قياسها.

والمُتَبَادَر أن سرعة الضوء لا نهائية Infinite؛ ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي زمن الوحي التصور أنها مُقَدَّرَة مَحْدُودَة؛ فلم يُقدم الدليل الأول على أنها محدودة إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Romer من قياسها عن طريق ملاحظة تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري خلفه بفارق زمني عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه في مدارها حول الشمس، لأن ضوء تلك الأقمار يحتاج لفترة أطول مما يعني أن سرعة الضوء غير لحظية، واعتمادًا على التقنيات المُتَاحَة وقتئذٍ والمعرفة بطول القطر الأكبر لمدار الأرض كانت النتيجة حوالي: ٢٢٧ ألف كما ثانية، وتوالت القياسات ثلاثة قرون؛ وأخيرًا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس اعتمدت القيمة: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية[٧٤].

---

[٧٠] الرازي حيان في تفسير الآية ٣٦ من سورة يس.

[٧١] تفسير القرطبي.

[٧٢] تفسير الحاوي للقماش (٤٤٢/ ١٠٣).

[٧٣] تفسير الحاوي للقماش (٣٥/ ١٠٧).

[٧٤] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

قال ابن كثير: "﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾..؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾"[٧٥]، والمماثلة كافية لتدفع القول بأن الملاك ينزل بالأمر ٥٠٠ سنة ثم يرجع ٥٠٠ سنة؛ لأن النص الأول خالي من الاشتباه، والقياس عند ابن عباس هو: "مقدار سير الأمر"[٧٦]، ونقل السيوطي عن قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"[٧٧]، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وأصاب ابن عباس عين النبع بمعوله بقوله: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"[٧٨]، وقال الألوسي: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[٧٩].

وتعداد السنين عند العرب كان قائمًا على حركة القمر بمنازله النجمية: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس: ٥؛ والسنة أساسها حركة القمر ليتم اثنا عشر شهرًا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٦، وفي القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ قال النَّابُلْسِي: "إنّ القرآنَ يخاطِبُ أُنَاسًا يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ؛ حيث إنّ القمرَ يدور حولَ الأرضِ كل شهرٍ دورةً..، (ولو) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ.. في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ (فبُنَاءً على أَنَّ).. القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ.. (فبالتالي نَعْرِفُ) سرعة الضوء في الثانية..، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) إنّ المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاصّ حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضي واحدٍ"[٨٠]، والقمر كبقية الأجسام حركته نسبية تتباين فتتطلب تحديد إطار؛ فهو يدور حول الأرض كما لو كَانَا في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ وفوق ذلك يدور معها حول الشمس، والقيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يُحَدِّد بإصرار حركة القمر حول الأرض فحسب؛ وفق ما كانوا يَعُدُّون ويَظُنُّون طبقًا لنموذج مركزية الأرض Geocentric Model، وكأن الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس، وحركتيهما بالنسبة للنجوم مُجَرَّدَة في نظام معزول؛ مُقابل سرعة الضوء التي لا تتحقق إلا بالفراغ في نظام معزول، وهي صيغة معادلة بجعل الطرفين في نظام معزول؛ كما في كل معادلات الحركة في الفيزياء.

والتشبيه في سياق تساوي المسافة: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾؛ يعني أن المسافة في يوم تُقَارِب مسافة الألف سنة وتماثلها ولا تتخطاها، لأن المشبه لا يتجاوز المشبه به في وجه الشَبَه؛ كقولك فلان كالأسد، أي يُقَارِبُهُ ولا يَفُوقُهُ في الجَسَارَة، وفي التعبير: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)؛ لفظ (كان) لا يعني الماضي في سياق دوام التدبير؛ وتقديره (كان دوما كذلك)، و(المقدار) في اللغة: المقياس والحد، فقد يقل قليلا محافظًا على إطار المماثلة؛ لكنه لا يزيد ويتجاوز الحد، وكل معايير حركة القمر وسطية وليست ثابتة؛ وهذا لا يستبعد اعتمادها كمقياس لإثبات المماثلة؛ خاصة أن القمر أقرب الجيران وحركته بانتظام، والتعبير (يَعْرُجُ) لبيان انحناء المسار يفيد أن الفضاء ليس فراغًا تَامًّا ليسري الضوء كخط مستقيم وتبلغ سرعته أعلى حد، والقيمة بالفيزياء: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية؛ لكن القيمة المستخدمة عَمَلِيًّا بالقياسات الفلكية هي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، وسرعة الضوء كحد للانتقال تختص بالعالم المادي ولا تمنع وجود سُبُل تواصل أسرع؛ وإنما هي نتيجة قياسات لِمُدْرَكَات حِسِّيَّة، وسرعة الضوء هي نفس سرعة كل أشكال الطيف كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو والتلفزيون؛ ومن الجائز أيضا موجات الجاذبية، وأي جسيم ذو كتلة موجبة لكي تبلغ سرعته قيمة سرعة الضوء سيحتاج لطاقة لا نهائية؛ ولا يمكن إذن لجسيم بلوغ سرعة الضوء إلا إذا كان معدوم الكتلة كجسيم الضوء؛ ولا أن يتجاوزها إلا إذا كان سالب الكتلة، لكن الافتراض بوجود جسيمات سالبة الكتلة أسرع من الضوء تسمى تاكيونات Tachyons؛ ليس إلا تَخْمِين وافتراض نظري لم يثبت.

---

[٧٥] تفسير ابن كثير تحقيق سلامة ج٥ص٤٤٠.
[٧٦] الإتقان ج٢ص٧٦.
[٧٧] الدر المنثور ج٦ص٥٣٨.
[٧٨] تفسير القرطبي (١٤/ ٨٧).
[٧٩] الألوسي ٥٨\٢٩.
[٨٠] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي (٢/ ٢٢).

(٤) الأرض في حركة دائبة طائعة للتقدير:

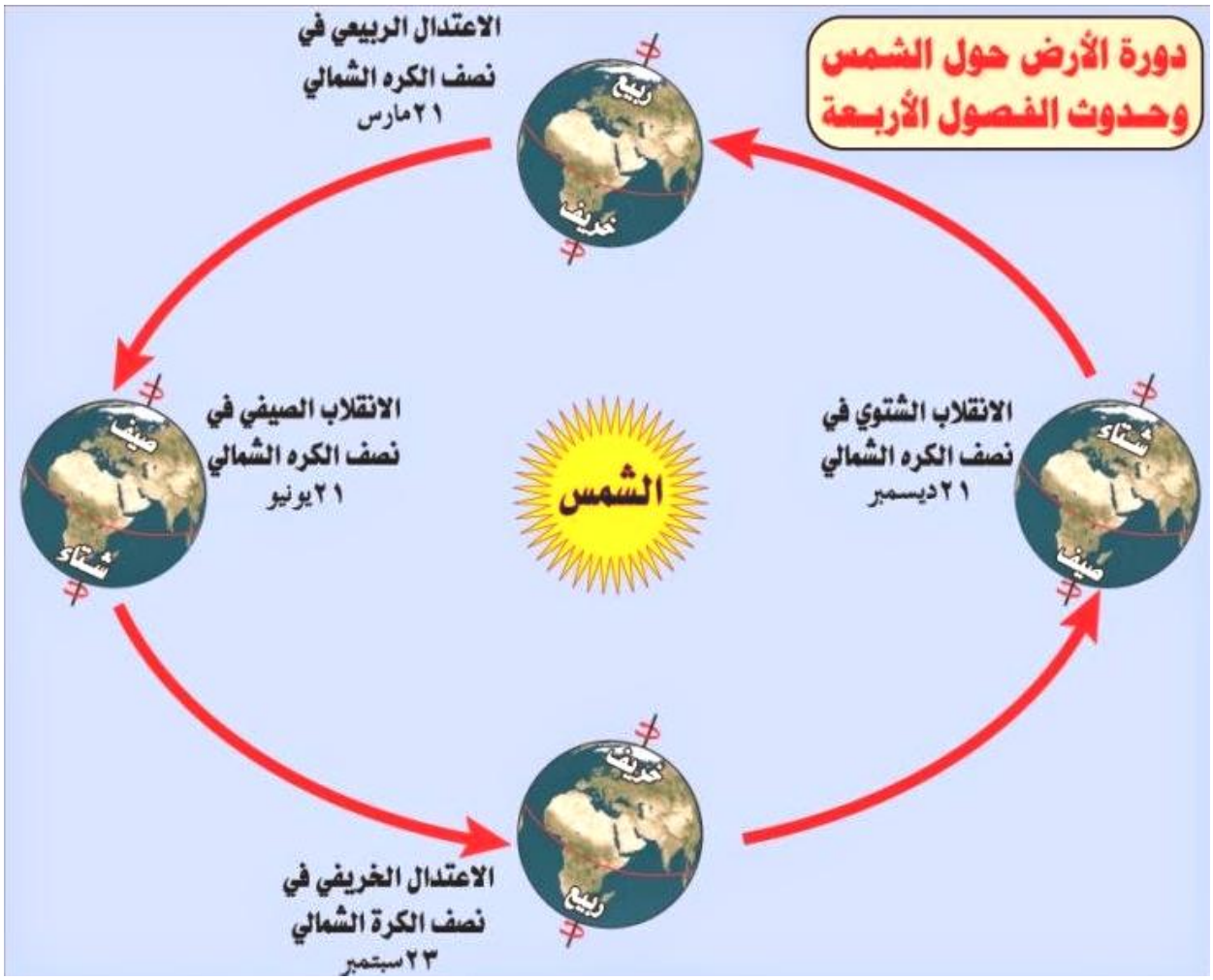

في التمثيل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ٤١فصلت:١١؛ الإتيان قرين الحركة وكان جو السماء حولها دخان يتبدد ولا يلازمها سيرها حتى هبطت حرارتها واستقر الجو فلازمها سيرها، وشرط قياس السرعة المُطلقة في الكون: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد جعل المِقْيَاس في نفس المجال المعزول للمُقَاس، وراعى نسبية حركة القمر، وأفاد أن الحركة الفعلية للقمر والأرض بخلاف ما يَعُدُّون ويَتَوَهمون، لأنه يعني: مما تَظُنُّون؛ أي: "تَحْسَبُون"[٨١] و"تُقَدِّرُون"[٨٢] و"تَعْتَقِدُون"[٨٣]، قال طنطاوي جوهري: "أرضنا إذن دائرة غير دائرة؛ نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ"[٨٤]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها، والقمر ملتزم بها؛ ويدور عليها ومعها على الشمس"[٨٥]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مُخَالِف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل"[٨٦].

---

[٨١] القرطبي.
[٨٢] المنتخب.
[٨٣] ابن كثير.
[٨٤] تفسير الجواهر ٢٤٢١٩.
[٨٥] تفسير الجواهر يونس ٥.
[٨٦] تفسير الجواهر ١٦ ٢١.

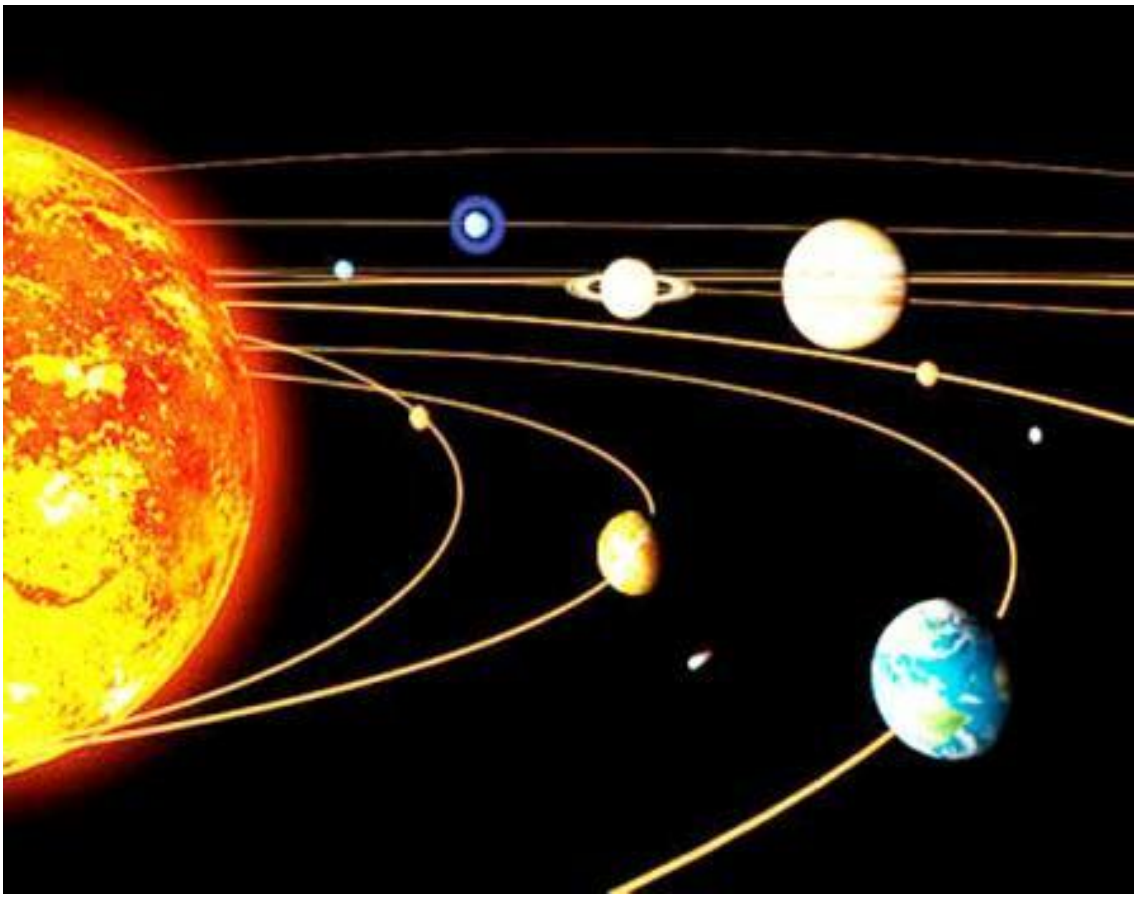

يقول العلي القدير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠، قال القاسمي: "التنوين في لفظ كُلٌّ عوض عن الإضافة للأجرام، والمعنى كل واحد من أجرام السماء كالشمس والقمر؛ في فلك خاص به يسبح بذاته"[٨٧]، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[٨٨]، وأن: "للثوابت حركة"[٨٩]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام؛ وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[٩٠]، وكل البشر يُعَايِنُون آيات السماوات كالشمس والنجوم تَمُرُّ عليهم وهم على الأرض التي تبدو ساكنة؛ ولكن القرآن يجعل سكون الأرض نسبي دالاً على حركتيها السنوية واليومية بإعلانه صريحًا أنهم هم الذين يَمُرّونَ على آيات السماوات وهم على ظهرها؛ كما يَمُرُّونَ على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥، وفي تفسير الميزان: "المعنى أن هناك آيات كثيرة سماوية وأرضية تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم..، ولو حُمِلَ قوله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على التصريح دون الكناية؛ كان من الدليل على.. حركة الأرض..، فإنا نحن المَارُّونَ على الأجرام السماوية بحركة الأرض الانتقالية والموضعية (أي السنوية واليومية)..، لا بالعكس؛ على ما يُخَيَّل إلينا في ظاهر الحس"[٩١].

---

[٨٧] تفسير القاسمي.
[٨٨] تفسير الألوسي.
[٨٩] تفسير الألوسي.
[٩٠] تفسير ابن عاشور.
[٩١] تفسير الميزان (١١/ ١٤٦).

[٥] الكون عارض وعمره محدود

في عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هبل Edwin Hubble ملاحظة كان لها أثر كبير في فهم طبيعة الكون، وهي أن معدل تباعد المجرات البعيدة يتزايد مع زيادة البعد؛ وفق قيمة تبدو ثابتة، سميت بثابت هبل Hubble Constant، فالضوء القادم منها ينزاح في الطيف Spectrum ناحية الجانب الأحمر ذي الموجات الأطول، وهي أشبه بصوت القطار المتباعد تتخلخل موجاته وتطول بعكس تضاغطها وقصرها عند قدومه؛ فاستنتجوا أن الانزياح نحو الجانب الأحمر Red Shift في طيف تلك المجرات يعني تباعدها، والعودة إلى الخلف تعني أن كل مادة الكون كانت في أجزاء قليلة من الثانية الأولى مضغوطة في حيز ضئيل في حالة تمدد فجائي أشبه بانفجار مهول، لذا سميت البداية تشبيهًا بالانفجار العظيم Big Bang.

وبناء على ما هو معلوم في الفيزياء؛ انضغاط مادة الكون يُوَلِّد حرارة هائلة يصاحبها إشعاع مميز أمكن توقعه نظريًّا، وفي عام ١٩٦٤ رصده من كل اتجاه بغير قصد أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ولسون Robert Wilson، وسمي بالخلفية الإشعاعية Background Radiation، وبهذا أضيف دليلاً حاسماً قائماً على الرصد لا الافتراض النظري والتخمين؛ على أن للكون بداية وتَأَيَّدَ مفهوم الانفجار العظيم، هكذا أثبتت الفيزياء أن عمر الكون محدود قاطعةً بأنه عارض وله ابتداء؛ يُعلن للفطين عن موجود أزلي أبدع الوجود أحد قدير، ولم يستطع هاوكنج Hawking ذو الميل للإلحاد إلا أن يقول: "إن كونًا ذو ابتداء يستحيل أن يكون بلا خالق أوجده"[٩٢]، والتصميم المُبْدِع والنظام Order الدال على التقدير بحكمة والتدبير بقصد؛ أجبره أن يقول أنه: "عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع"[٩٣]، أي: لو لم يكن نظام ومقدمات تؤدي لنتائج مُحددة مهما تكرر الحدث؛ ما وُجِدَت قوانين ليكتشفها العلم ويُثبت انعدام الفوضى Chaos.

---

[٩٢] A Brief History of Time, St. Hawking, P.122.

[٩٣] A Brief History of Time, St. Hawking, P.140.

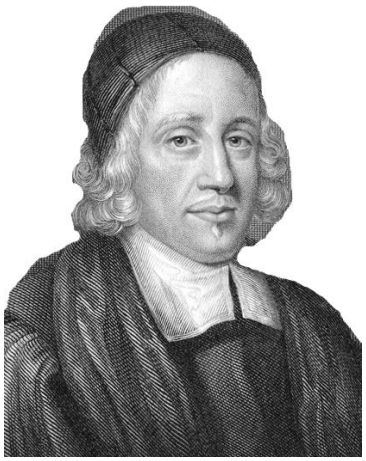

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)

جيمس أوشر James Ussher
(١٥٨١-١٦٥٦)

وكانت البدايات الأولى في القرن السابع عشر لتقدير عمر الكون متواضعة؛ فقد استنبط جيمس أوشر James Ussher في كتابه "استنتاج بداية خلق العالم من تاريخ الأحداث في العهد القديم" أن الكون قد خلق ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس جون لايتفوت John Lightfoot سنة ٣٩٢٩ ق.م، فنشأة الكون عندهما منذ ستة آلاف سنة بفارق ٧٥ سنة، بينما تتراوح التقديرات حاليا لعمر الكون بين ١٠ و١٥ بليون سنة[٩٤]، وأول الطرق "معادلة هبل": "عمر الكون = (سرعة الضوء × مليون)\ ثابت هبل"، وأساسها أن بلوغ سرعة تباعد المجرات قيمة سرعة الضوء يعني بلوغ البداية حين نشأ الكون مع بلوغ أقصى بعد ممكن المشاهدة، لكن التقدير قائم على كون بلا جاذبية؛ ولا يوجد يقين على أن معدل تباعد المجرات ثابت منذ النشأة، وبناء على رصد تغير ضئيل في الخلفية الإشعاعية؛ استنتج كارليس بينيت Charles Bennett القيمة: ١٣,٧٥ بليون سنة، وبناء على أن عمر الكون هو على الأقل عمر أقدم ما فيه؛ اتجهت الدراسات إلى رصد تحلل العناصر المشعة في أقدم النجوم، ومن الدراسات الرائدة والواعدة؛ تلك التي قام بها عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه بالتعاون مع فلكيين من عدة مراصد في فرنسا والسويد وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل، برصد تحلل اليورانيوم-٢٣٨ في أقدم النجوم، وكحد أدنى كانت النتيجة: ١٢,٥ بليون سنة؛ وكل الطرق الأخرى تُعطِي قيم أعلى ولكن مع نسبة ارتياب أكبر، فأقصى بُعد إذن ممكن الرصد: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية على أقل تقدير، وللتبسيط: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)، وتسمى السنة الكونية Cosmic Year.

وكل مشاهداتنا للأبعاد السحيقة في الكون أحداث مضت منذ زمن بعيد، فليس توسع الكون إذن حدث قريب، وكلما نظرت بعيدًا رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يعُد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيدًا وقد يكون قريبًا، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقَاس أبعد مسافة مُمْكِنَة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبأ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠، والإيجَازُ اعتمادًا على السياق عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَت بإيجاز بين قيمتين: (ألف سنة) و(خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس في منازلها، والتي لم تُعرف إلا حديثًا مع تطور علم الفلك، والقيمة (ألف سنة) مبنية على سير القمر في منازله النجمية، وإذا ضُمَّت إلى (يوم) عَبَّرَت بإيجاز عن قيمة أكبر سرعة للانتقال في الكون؛ خاصة أنها بنفس النَّسَق: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ السجدة: ٥، وقبل أن تُقَاس المسافات الكونية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن مناسبة؛ ترد القيمة (خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر مسافة، لتعبر بإيجاز الحذف أو التنازع عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُمَاثِل سنة؛ وتقديرها كما نعلم اليوم هو السَّنَة الكَوْنِيَّة، والنتيجة أن أبعد مسافة مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

[٩٤] Hawking' universe, p.55

ولا يُمكن لكائن مَادِّي ذو كتلة أن يرصُد لحظيًّا طرفي قياس أقصى بعد للكون الشاسع الاتساع المُتَغَيِّر الأبعاد ويَجُول فيه مُتَّبِعًا مساراته المنحنية؛ إلا إن كان كائنًا روحيًا متحررًا من حواجز عالم المادة، وحتى الضوء الخالي من الكتلة سيستغرق عمر الكون ليعبر من طرف لآخر، وسيظل الأفق الأعلى يُرَى بعيدًا وهو قريب، لأن سرعة الضوء محدودة والناظر يُطالع الماضي البعيد، فناسب ذكر الملائكة والروح رُسُل الهِدَايَة والإِنْذَار، والمراقبين المُتَخَفِّين لتَدْوِين الأَعْمَال في سياق التهديد بقرب اليوم الموعود؛ كشهود في القياس لما يبدو عليه للناس أقصى طرف للكون بخلاف الواقع المستور.

قال طنطاوي جوهري: "ليس المُراد المُدَّة بل بعد المَدَى.. وقَدَّمَ الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة، (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"[٩٥]، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا"[٩٦]، وقال الشوكاني: "ذُكِرَ هَذَا الْمِقْدَارُ.. لِغَايَةِ ارْتِفَاعِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ وَبُعْدِ مَدَاهَا"[٩٧]، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"[٩٨]، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا.. والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"[٩٩]، وفي اللغة: "(تعارج): حاكى مشية الأعرج، و(عرَّجه): ميَّله، و(تعرَّج): مال، و(التعاريج) المُنحنيات، و(العُرْجُون) العذق المُعْوَج"[١٠٠]، و"العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"[١٠١]، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان مَعْرَج، كأدق وصف للآفاق المُمَيَّزَة بلبنات طبقات الأجرام؛ حيث تسري القوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى والأجرام منحنية دفع الفيزياء لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe.

وإصدار الضوء وكافة القوى في الفيزياء دفقات في آنات متعاقبة أجزاء أو كَمَّات؛ يحمل كل منها قدر من الطاقة يُمَيِّزُهَا، هذا هو مُنْطَلَق ميكانيكا الكم Quantum Mechanics، و(لمح) البرق يبدو دفقة واحدة ما تلبث أن تزول في أقل زمان، لكن العدول عن المفرد (لمحة)؛ فيه إيماءة إلى أن (اللمح) سيل مُرَكَّب، أي رتل من أجزاء متتابعة تسري في آنات متعاقبة، قال الرازي: "(و) تِلْكَ الْأَجْزَاءَ كَثِيرَةٌ، وَالزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ لَمْحُ الْبَصَرِ مُرَكَّب مِنْ آنَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ"، وقال ابن عادل: "والزَّمانُ الذي يحصل فيه لمحُ البصر مُرَكَّبٌ من أزمانٍ متعاقبةٍ..، (واللمحة) في زمان واحد من تلك الأزمان"، وفي المنار: "اللَّمْحَةَ بَعْدَ اللَّمْحَةِ وَالْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ"، أي أن (اللمح) مُعَقِّبَات؛ والأساس (لمحة) تحدث في بُرْهَة ضئيلة؛ أي هُنَيْهَة.

وجو الأرض وسط مادي أكثر كثافة من الفضاء؛ لذا سرعة الضوء في الخلاء أسرع من لمح البصر في الجو، وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧؛ بيان يحصر العلم بالأحداث الآنية بالكون على القدير وحده، و(الأمر) المُختص بساعة نهاية العالم يستقيم حمله على تقارب أطراف الكون وطي الصفحة المرئية وقرب اليوم الموعود؛ ففيه تَوَعُّد وتَهْدِيد للغافلين عن المصير، وإنذار لينتبه الفطين، والتمثيل في التعبير: (لمح البصر)؛ إيجاز لا يُخْرِجُ (اللمح) عن دلالته على البريق اللحظي المفاجئ للبرق في التمثيل النظير: ﴿كَلَمْحِ بِالْبَصَرِ﴾؛ ولا عن دلالة لفظ (البصر) علي عين الإنسان كأداة للإبصار؛ خاصة مع التمييز بين الأبصار والضوء المباغت للبرق الذي يكاد أن يصيبها بالعمى اللحظي من شدة سطوعه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: ٤٣، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ البقرة: ٢٠، وفيه بيان في سياق التقرير لا التقريب؛ بأن قوى الدمار قادمة لا يدركها بشر لسعة الأبعاد، بأسرع قليلا من سرعة الضوء بالجو؛ حيث يتكون برق السحاب ويُشَاهد، قال ابن عادل: "(اللمح) أصله من لَمحَانِ البَرْق"، وقال الرازي: "(أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)..: الْمُرَادُ: بَلْ هُوَ أَقْرَبُ (أي).. أَسْرَعُ"، لبيان: "سرعة مجيء الساعة"[١٠٢]، وقال الشوكاني: "ليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق"[١٠٣].

---

[٩٥] تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري ج٢٤ص٢٦٠.
[٩٦] تفسير البيضاوي ج٥ص٣٨٧.
[٩٧] فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٥).
[٩٨] تفسير البغوي ج٣ص٤٩٨.
[٩٩] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٨.
[١٠٠] المعجم الوسيط.
[١٠١] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٧.
[١٠٢] التفسير الوسيط مجمع البحوث (٥/ ٦٥٨).
[١٠٣] فتح القدير ١٨٢١٣.

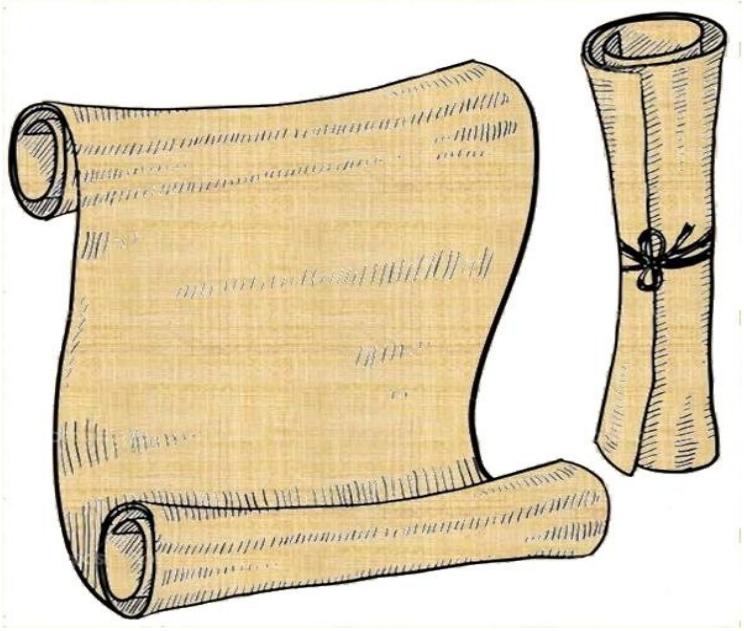

نهاية العالم وطي صفحة السماء؛ وتلاشي معالمها المرئية، أشبه بلف المطوية التي كان يُسَطِّر فيها القدماء ذخائر الكتب ولا يظهر فيها سوى أطرافها المطوية.

وتُقَدِّم الفيزياء التصور لنهاية الكون بمصطلح الانسحاق العظيم Big Crunch، وفي سياق التهديد باليوم الموعود؛ يُقَدِّم القرآن الكريم الآلية بطي صفحة الكون المرئية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤، والسجل المكتوب عند القدماء مطوية Scroll كانت تسجل فيها ذخائر الكتب، وهي تمثيل لآفاق الكون الممكن المشاهدة؛ والزاخر بحركات مُذْهِلَة لا تُحْصَى بلا تَصَادُم؛ تنطق بسبق التقدير وحسن التدبير.

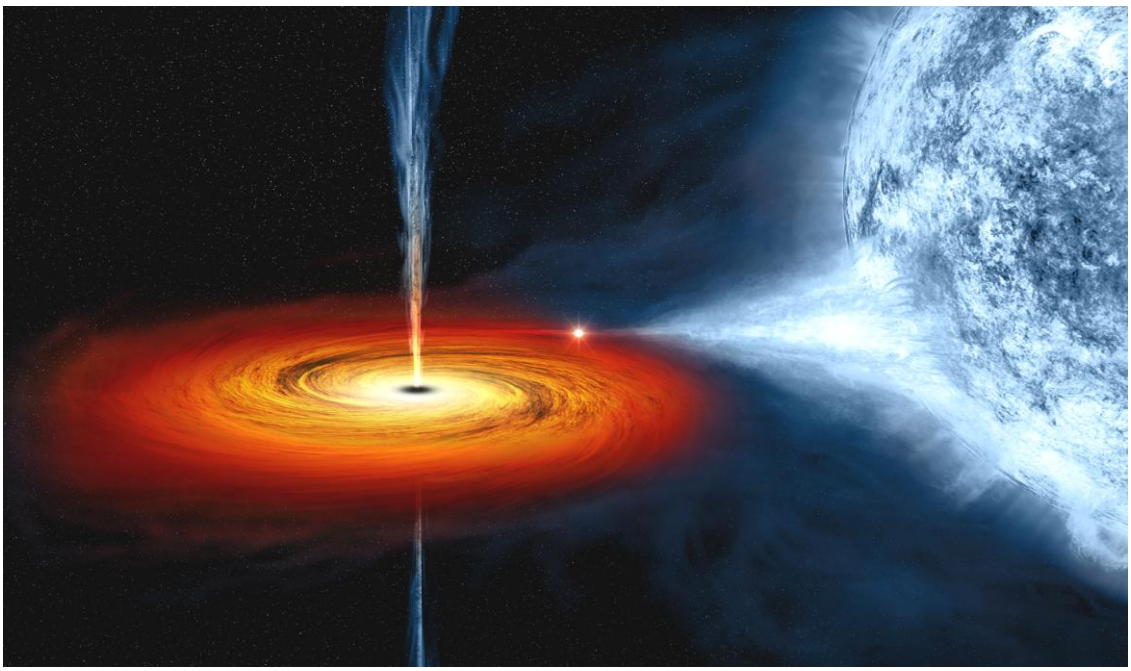

وكما تختفي زخارف سجادة داخلها مع طي طرفها؛ يختفي المكتوب في السجل داخله ولا يظهر منه سوى طرفه يُطْوَى، والثقب الأسود Black Hole كذلك؛ حيث يبتلع النجوم حوله فتختفي داخله ولا يظهر سوى طرفه يُطْوَى، فهو من شدة الجاذبية لا يفلت منه حتى الضوء، ولا يظهر سوى خُطَام يَدُور حوله؛ فسموا طرفه أفق الحدث Event Horizon، ويكفي وجود ثقب أسود وسط مجرتنا يَتَرَصَّد؛ ولا أمان أن يَطْوِيها ويتكاتف مع أمثاله ليصنعوا مقبرة للكون أجمع، وكأن النهاية ثقب أسود هائل يبتلع كل الأجرام الفلكية قبل الانسحاق التام تمهيدًا لعودة الكون كما كان؛ بيانًا للاقتدار والوحدانية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر: ٦٧.

إذا كانت السنة عند اكتمال خلق العالم: ١٢ شهرًا وحاليا: ١٢,٣٦٨ شهرًا، بزيادة: ٠,٣٦٨ شهرًا في ٠,٢٥ بليون سنة؛ تكون كل الزيادة: ١٢,٣٦٨ شهرًا في ٨,٤ بليون سنة، فيكون العمر الجيولوجي للأرض حوالي ٤,٥ وعمر العالم حوالي ١٢,٥ بليون سنة.

والقرآن الكريم يُصَوِّر أطوار خلق الكون الممكن الرصد بستة أيام متتابعة؛ أي كبناء مُشَيَّد في أطوار متتابعة تمثيلاً بالأيام لبيان سبق التقدير ووحدة التصميم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ السجدة: ٤، وقد جعل الأحداث كل يومين في ثلاث مراحل متساوية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: ٩و١٠، وفي تاريخ الأرض معلم بارز على تكاملها بوقوع هلاك جماعي لأوائل الأحياء Permian–Triassic extinction منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة في بداية الحقبة الوسيطة Mesozoic Era؛ وفي تلك الفترة استقر الجو وتشكلت أوائل القارات قطعة واحدة سميت أم القارات Pangaea، وهي أيضًا مدة سنة كونية، والمُلفت للنظر أن يدل حديث نبوي على مرور دورة زمنية كونية واحدة منذ اكتملت الأرض: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر شهرا" رواه البخاري، والزمان وليد حركة الأجرام في عالمنا حيث الشمس والقمر، وأكبر وحدة زمنية في عالمنا هي سنة كونية؛ أي مدة دورة الشمس حول مركز المجرة.

والسنة الأرضية مبنية على حركة الأرض حول الشمس وطولها حاليا: ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية، أي: ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا؛ أو: ١٢,٣٦٨ شهرًا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التوبة: ٣٦؛ (خَلَقَ) فعل ماضي يُفيد أن السنة عند اكتمال خلق الأرض كانت ١٢ شهرًا، وتراكم فترة الزيادة (٠,٣٦٨ شهرًا) في ٢٥٠ مليون سنة يعني أن الزيادة (١٢,٣٦٨٢٧ شهرًا) تراكمت في حوالي: ٨,٤ بليون سنة؛ أي مع نشأة الأرض حركيًّا كدوامة انفصلت عند طرف سديم بالمجرة، لأنه تقريبًا نفس العمر المُقدر لتكامل تَمَيُّز سُدُم المجرة: ٨,٤ (حوالي: ٧-١٠) بليون سنة، ووفق مخطط الأيام الستة تمثيلا لأطوار خلق الكون وتمييز الأحداث في ثلاث مراحل متساوية؛ المُلْفِت أن ينتج نفس العمر الجيولوجي المقدر حاليًّا للأرض وهو حوالي: ٤,٥ بليون سنة؛ ويَتَأَكَّد أن عمر الكون على أقل تقدير هو: ١٢,٥ بليون سنة.

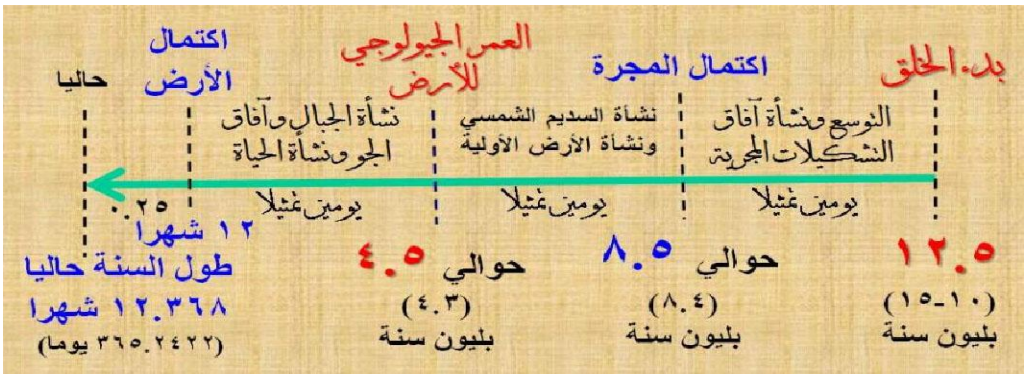

وفي التقسيم الزمني لأطوار خلق الكون إلى ثلاثة مراحل أساسية أو ستة فصول فرعية؛ إذا اِعْتَبَرْت أقصى تقدير للعُمر الجيولوجي للأرض: ٤,٧٥ (٤,٥-٥) بليون سنة، وأقل تقدير: ٤,٣ (٤,٦-٤) بليون سنة؛ توافق النتيجة أن عمر الكون على أقصى تقدير: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذت بالأحوط؛ يكون عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٦] مفاهيم دخيلة يرفضها الوحي والعلم

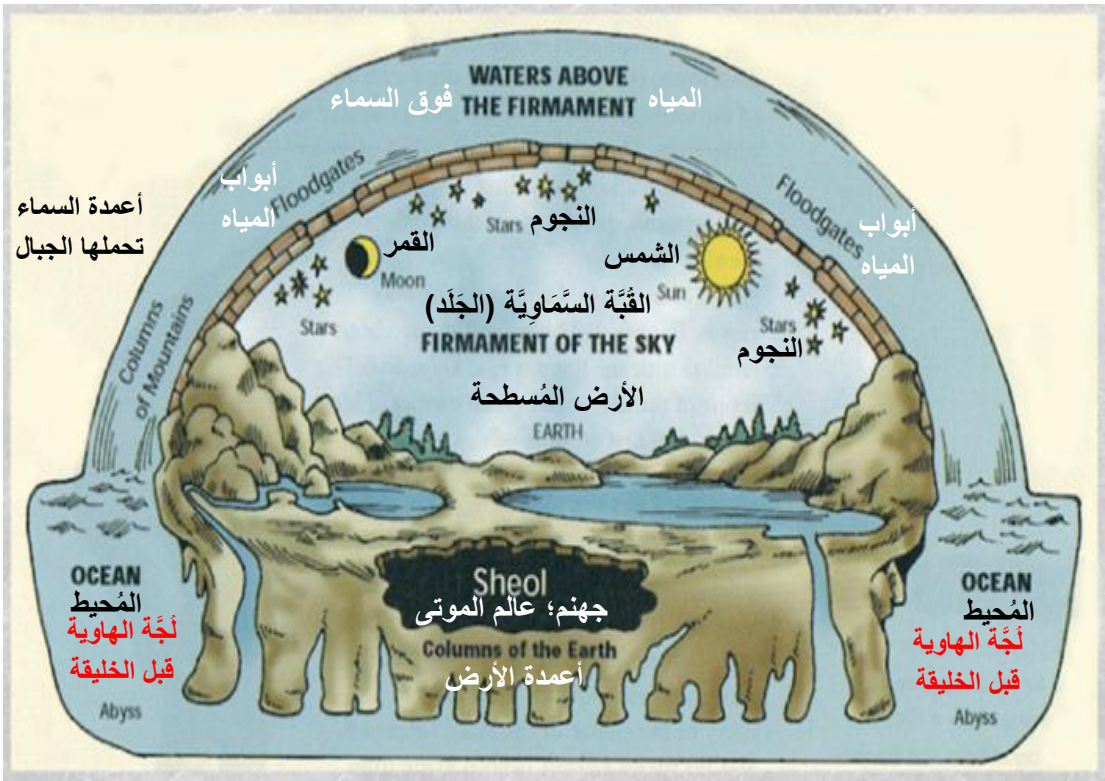

تصور كتبة الأسفار؛ أن السماء قُبة مبنية أعمدتها رءوس الجبال عند أطراف الأرض المُسطحة القائمة على أعمدة، والسماء فوقها مياه قبل الخليقة يعلوها الكرسي أو عرش الإله، فليست السماء من الأرض ببعيد ويُمكن للماشي بلوغها، أما الروايات فقد اختلفت اختلافًا واسعًا في تحديد زمن سير الماشي؛ ولم يجدوا إلا أن يحملوها على اختلاف سرعة السير، قال ابن حجر: "اِخْتَلَفَ الْخَبَر الْوَارِد فِي قَدْر مَسَافَة مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض..؛ فِي التِّرْمِذِيّ أَنَّهَا مِائَة عَام، وَفِي الطَّبَرَانِيّ خَمْسمِائَة..، (و) عِنْد أَبِي دَاوُدَ..: إِحْدَى أَوْ اِثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاث وَسَبْعُونَ..، وَالْجَمْع بَيْن اِخْتِلَاف هَذَا الْعَدَد.. أَنْ تُحْمَل الْخَمْسمِائَةِ عَلَى السَّيْر الْبَطِيء كَسَيْرِ الْمَاشِي.. وَتُحْمَل السَّبْعِينَ عَلَى السَّيْر السَّرِيع"[١٠٤]، ودخلت أيضا في التفسير، قال ابن الجوزي: "يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ثم يعرج الملك إليه في يوم من أيام الدنيا؛ فيكون الملك قد قطع في يوم في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي"[١٠٥]، وكثرت الروايات التي تقرر أن الأرض تحتها أراضي بين كل أرضين مسافة خمسمائة سنة كما بين كل سماء وما يليها، وفي إحداها: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلاً بحبل إلى الأرض السُفلى لهبط على الله"؛ والنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بريء من تلك الغرائب.

وقبل معرفة الحقائق العلمية القاطعة؛ لك أن تدهش مما بذله علماء الإسلام من جهود في تحقيق مثل تلك الأخبار الدخيلة، وفي خبر أكثر غرابة: "هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟، قالوا: لا ندري، قال: بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال (تيوس جبلية قوية القرون) بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك"، والحديث أخرجه جملة أئمة عن العباس منهم الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٧)، وأبو داود (٢٧٦/٢)، وابن ماجة (٨٣/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٣٩٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٦٨) والحاكم في المُستدرك (٣٧٨/٢)، ولكن الترمذي وصفه بالغرابة، وحققه الشيخ محمد زاهد الكوثري وانتهى إلى أنّه دخيل فسماه في مقالاته (ص٣٠٨): "أسطورة الأوعال"، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد بن حنبل (ج١ص٢٠٦): "إسناده ضعيف جدا".

---

[١٠٤] ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري (١٢٠\ ٤٩٩).

[١٠٥] ابن الجوزي: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١١\ ٧٧).

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بقوله: "الحديث ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة..، وللحديث علتان: الاضطراب في إسناده وجهالة أحد رواته..، وهذا موضوع هام يجب على كل مُشتغل بعلم السنة وتراجم الرواة أن يكون على بينة منه كي لا يخطئ بتصحيح الأحاديث الضعيفة اغترارًا..، إذ كل ما فيه من بيان المسافة بين كل سماء والتي فوقها وكذا البحر فوقها والثمانية أوعال كل ذلك لم يرد فيه شيء صالح للاحتجاج به..، (و) هناك أحاديث أخرى في تحديد المسافة المذكورة؛ وهي مع ضعف أسانيدها مُختلفة مُتناقضة ولا داعي للتوفيق بينها"[١٠٦].

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ مصطفى العدوي في سلسلة التفسير (ج٥١ص٢٤): "حديث الأوعال ليس بصحيح"، وقال الشيخ محمد يحيى عزان في كتابه عرض الحديث على القرآن منهج رائد في صيانة السنة النبوية (ج١ص٢٣): دراسة الأسانيد وحدها لا تكفي في نقد الحديث..، و(لقد) توجهت جهود الفقهاء إلى دراسة متون الأحاديث..، ومن الضوابط.. اعتبار ما يُكذبه العقل ويُنكره الحس والواقع غير مقبول، كحديث: (إن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة فتحركت الأرض؛ وهي الزلزلة)، وحديث..: (ثمانية أوعال)".

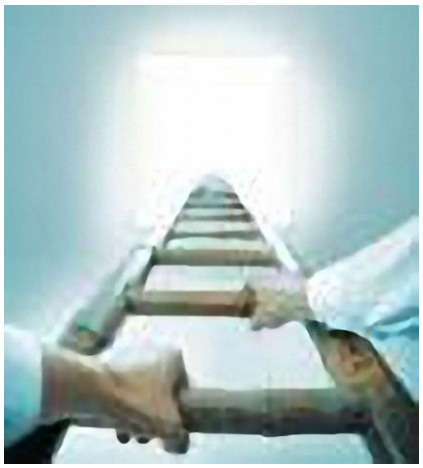

وهكذا شاع الوهم عند كتبة الأسفار بقرب السماوات حيث يجلس المَلِيك المُقْتَدِر مُجسدًا جل في علاه على كُرسي الحُكم كالمُلوك؛ حقيقةً لا مجاز، والسماوات من القُرب بحيث يُمكن بلوغها بسلم أو صرح، ويُلمح القرآن الكريم تعريضًا بوهم الجاهلين بسعة مُلْك العَلِي القَدِير: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٢٨القصص:٣٨، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٤٠غافر:٣٦و٣٧، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦الأنعام:٣٥.

والقاعدة هي أن شهادة الواقع برهان قاطع، وإذا كان الأصل في الغيبيات هو التفويض بغير تكييف ولا إنكار؛ فالأصل في الكونيات صيانة الشريعة عن الغرائب، لأن الوحي حتمًا لا يُخالف الواقع، قال الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا المتوفى سنة ١٩٩٦ في كتابه السُّنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص٧٤و٧٩): "حديث الآحاد يُفيد الظن العلمي، و(هو) دليل على الحكم الشرعي؛ ما لم يكُن هناك دليل أقوى منه..، والبُعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقُولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؛ وهي أن حديث الآحاد يفيد اليقين العلمي الذي يفيده المُتواتر"، وقال (ص٢٠٤): "اليقين الثابت بالعلم وبالوحي لا يجوز أن يتقدم عليه ظن علمي يرويه حديث آحاد، إن حديث الآحاد يتأخر حتمًا أمام النص القرآني والحقيقة العلمية والواقع التاريخي"، فلا مطعن إذن في رسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام بتناول روايات غير قطعية الثبوت عند المحققين وتتضمن غرائب.

وإذا ارتضيت منهج السلف في نقد الأخبار سندًا ومتنًا واستبعاد الغرائب واستنطقت الحقائق العلمية اليوم؛ يترسخ لديك اليقين بأن هذا الكتاب العزيز مُتفرد بالاستعلاء على كل الأوهام غير أي كتاب آخر يُنسب للوحي، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ يُفسره التقدير بسرعة لا ينقطع معها التدبير، والسياق يستبعد تلك الغرائب المُوافقة لتصور كتبة الأسفار أن السماء قبة تحملها رءوس الجبال وتبلغها الأقدام أو البغال، قالت بنت الشاطئ: "تكلف مفسرون فحددوا مقدار ذلك السُّمك (للسماء)، ففي (الكشاف والبحر): جعل مقدارها في العلو مديدًا رفيعًا، مقدار خمسمائة عام، وهذا ما لا يقبله النص من قريب ولا بعيد..، وهو من تفاوت قياس السرعة بالزمن على اختلاف العصور؛ فما كان يُقاس أيام الزمخشري بالأعوام في عصر الناقة؛ أصبح يُقاس بالدقائق والثواني في عصر غزو الفضاء"[١٠٧].

---

[١٠٦] موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٤٠٢).

[١٠٧] بنت الشاطئ عائشة محمد عبد الرحمن؛ التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة السابعة (١١ ١٤٩).

[٧] معادلة ثرية بالحقائق العلمية

تخضع حركة القمر لشتى التأثيرات مُن الأجرام حوله خلال دورته حول الأرض؛ ولذا كل معايير حركته قيم وسطية، ووفق علم الإحصاء يُعبر بالقيم الوسطية، كما يُقال: مدة دورة الحيض ٢٨ يومًا؛ أي النموذجية الوسطية تعبيرًا بالغالب.

(١) <u>علاقة كونية ثابتة</u>**:**

استخدمت قوافل العرب قديمًا الزمن للتعبير عن مسافة، فقاسوا الرحلات بالزمن الناجم عن الحركات الفلكية؛ الحركة اليومية الظاهرية للشمس والتغيرات الشهرية لأوجه القمر، وتعداد السنة ١٢ شهرًا، وفي القياس: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ اليوم بعض السنة، فلا يستقيم حمل المماثلة إلا على المسافة؛ لا الزمن، وكانت السنة في عُرْفِهم تقوم على سير القمر ليتم ١٢ دورة حول الأرض، والدلالة إذن أن المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة تُقطع في يوم واحد، لبيان قيمة السرعة الأعلى Uppermost Speed للانتقال في الكون؛ وهي سرعة الضوء في الفراغ، والمسافة الفلكية التي يقطعها ما تَقُوم على حركته السنة أنسب لقياس مسافة هائلة لا يوجد على الأرض مُتَّسَع لقياسها؛ خاصةً أن القمر أقرب الجيران، لكن حركته نسبية تفتقر لتحديد إطار أو مرجع تُنسب إليه، فتختلف سرعة قطار بالنسبة لمراقب على المحطة عنها بالنسبة لراكب سيارة أسرع أو أبطأ، والمعيار: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ عائد سياقًا على القياس؛ فيعني استبعاد نسبة حركة القمر حول الشمس والاكتفاء بحركته حول الأرض فحسب وفق ما كانوا يَعُدُّون ويظنون.

(٢) <u>تجريد حركة القمر رائعة بلاغة ومأثرة فيزيائية</u>**:**

بالإضافة إلى حركة القمر حول الأرض يتحرك حول الشمس؛ لذا حركته مركبة، ولو كانت حركته حول الأرض فحسب كما يعدون لكان مداره كامل الاستدارة؛ لكنه بيضاوي ناقص الاستدارة Ellipse، حيث تشارك حركته حول الشمس لتضيف نسبة إلى حركته المُجَرَّدَة، وهو يطوف حول الأرض والشمس متأثرًا كذلك بالأجرام سواهما؛ ولذا في كل دورة للقمر حول الأرض يتغير البعد بين المركزين، وفي كل سنة ومن سنة لأخرى يتغير كذلك بعده قليلا من دورة لأخرى(*).

Moon distances for Cairo, Egypt (2010-2014)

السنة	أقصى بعد (كم)	أقل بعد (كم)
٢٠١٠	٤٠٦٥٤٤	٣٥٦٦٠٦
٢٠١١	٤٠٦٦٥٧	٣٥٦٦٠١
٢٠١٢	٤٠٦٤٣٩	٣٥٦٩٦٤
٢٠١٣	٤٠٦٤٨٥	٣٥٧٠١٤
٢٠١٤	٤٠٦٥٤٧	٣٥٦٩٢٢

(*) http://www.timeanddate.com/astronomy/moon/distance.html?year=2015&n=53

وتقتضي الحكمة إذن لاستخدام حركة القمر كمقياس لقيمة سرعة الضوء بالفراغ المجردة من التأثير الخارجي؛ استبعاد النسبة الإضافية التي تجعل مداره بيضاوي بخلاف ما كانوا يعدون، واستخدام حركته المجردة؛ كما لو كانت الأرض ثابتة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب في نظام مستقل معزول عن كل التأثيرات الخارجية، خاصة أن حركة الأرض حول الشمس لا يعاينها إلا مراقب خارج النظام الشمسي لا المراقب الأرضي؛ فاعتبرت ساكنة لا تدور حول الشمس، والناظر بالعين المجردة لوجوه القمر خلال دورته؛ لا يدرك بدون أجهزة فلكية نسبة تغير بعده وكأنها مستبعدة.

ومعيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن يعتمد نموذج مركزية الأرض Geocentric Model؛ فيختار للقياس نسبة حركة القمر حول الأرض فحسب وكأنها في الفراغ؛ لأنها الأنسب لقياس قيمة سرعة الضوء الثابتة القيمة في الفراغ، فيكون كلا المِقْيَاس والمُقَاس في إطار مَرْجِعِي واحد: مُسْتَقِل مُغْلَق Inertial Frame of Reference، أي في نظام مَعْزُول Isolated System عن التأثير الخارجي، وبهذا الاعتبار تتحقق علاقة ثابتة باستخلاص نسبة مُجَرَّدَة حوالي: ٨٩% من متوسط أقصى قيمتين لبعدي القمر أو سرعته، ويستبعد نسبة التغير في حركته: حوالي ١١%، وهي ناجمة عن حركته حول الشمس التي تجعل المعايير متغيرة لا يعبر عنها إلا بقيم وسطية، حيث تتباين قيم البعد والسرعة دوريا وقليلا سنويا بخلاف النسبة الثابتة نتيجة حركته حول الأرض فحسب، والتعبير ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد سبق بمبدأ النسبية، وأقام علاقة ثابتة كلا طرفيها في نفس الإطار المرجعي وكأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت، وهو يعني: من الذي تحسبون وتظنون، فدل بلفظه على دوران الأرض حول الشمس بخلاف ما يظنون؛ فأي إحكام إذن في البيان وإخبار بالمستور!.

(٣) دورة القمر بالنسبة للنجوم:

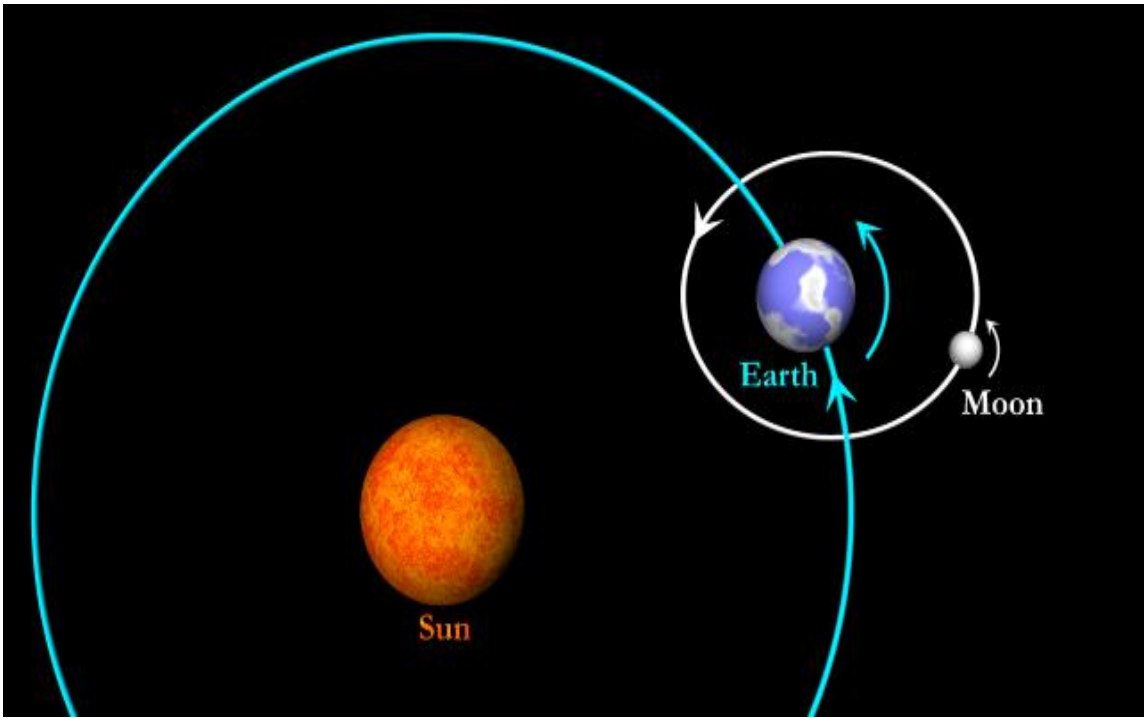

يَتَحَدَّد اليوم بإكمال الشمس دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي، ويسمى فلكيًّا باليوم الاقتراني Synodic Day؛ حيث تقطع الأرض دورة حول نفسها في ٨٦٤٠٠ ثانية، لكنها تتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد في يوم نجمي Sidereal Day: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ وتدور حول الشمس في مدة سنة نجميه Sidereal Year: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يومًا: ٣٦٥ يوما و٦ ساعات، و٩ دقائق و٩,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية لحركة الأرض حول نفسها في السنة قيمته تساوي: ٣٦٥,٢٥٦٣٦؛ بينما عدد الدورات الحقيقية: ٣٦٦,٢٥٦٣٦؛ أي بزيادة دورة كاملة كل سنة، ويرجع الفارق فلكيًّا إلى أن الأرض تدور حول الشمس أثناء دورانها حول نفسها، وتَتَحَدَّد مدة الشهر القمري بإكمال القمر دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي؛ ويسمى فلكيًّا بالشهر الاقتراني Synodic Month، وطوله: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، ولكن القمر يتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم بعيد في مدة شهر نجمي Sidereal Month: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا: ٢٧ يوما و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية في السنة: ١٢,٣٦٨٧٤٦٥٦ دورة؛ وعدد الدورات الحقيقية في السنة: ١٣,٣٦٨٧٤٦٥٦، بزيادة دورة كاملة كل سنة، والفارق كذلك بسبب حركته مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها.

(٤) سرعة القمر مُتَّجَه:

تُعْتَبَر السرعة في الفيزياء مُتَّجَه Vector كالقوى، أي تظل ثابتة القيمة والاتجاه كأنها في خط مستقيم ما لم يُؤثر عليها مُؤثر خارجي، وتغير الاتجاه أو السرعة يعكس اكتساب تسارع Acceleration نتيجة مؤثر خارجي، وعند نهاية دورة للقمر باعتبار ما يَعُدُّون؛ ستكون سرعته كمتجه في نفس الاتجاه عند بدء الدورة، وكأن حركته حول الأرض في نظام مَعْزُول.

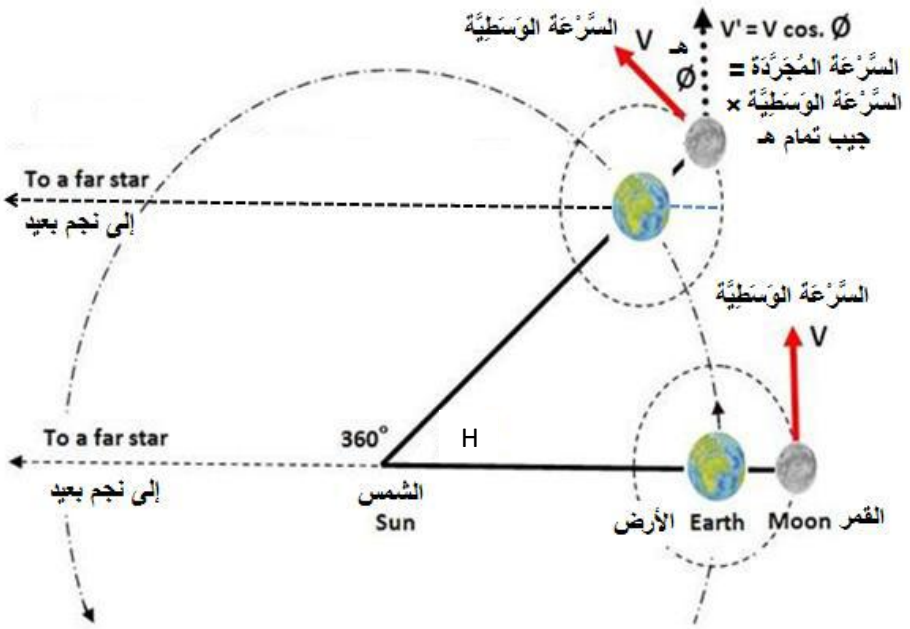

ولكن القمر يتحرك حول الشمس أثناء حركته حول الأرض ليقطع كل دورة بالنسبة لنجم بعيد زاوية قيمتها (هـ): ٣٦٠ × (٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ \ ٣٦٥,٢٥٦٣٦) = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ درجة، وكأن اتجاهه تغير على مداره المعزول بنفس الزاوية؛ فتغير اتجاه سرعته المجردة لتعكس اكتساب تسارع، ولذا نسبة الحركة حول الأرض (جتا هـ): ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣، والنسبة الناتجة عن حركته حول الشمس من القيم الوسطية التي تجعل المدار بيضاوي هي: ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧.

(٥) السرعة المماسية المجردة للقمر:

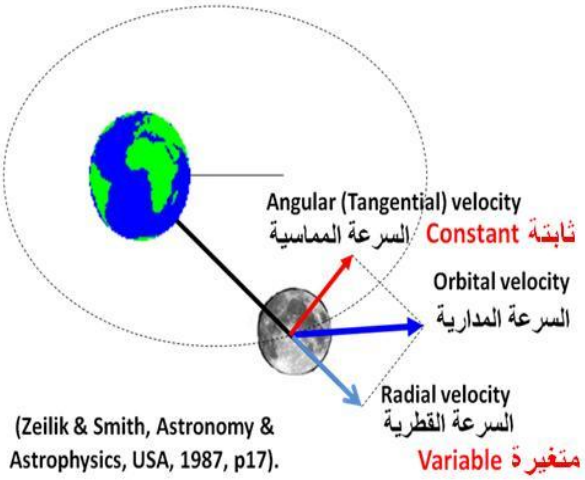

بتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تسمى السرعة القطرية Radial Velocity، وتخضع للتغير من نقطة لأخرى، ومركبة متعامدة على القطر؛ تصنع معه زاوية قائمة، وهى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة المُعْتَبَرَة في النظام الأرض قمري المعزول؛ لأن قيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار، ولذلك تسمى أيضا: السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17).

(٦) نسبة التغير في بعد القمر:

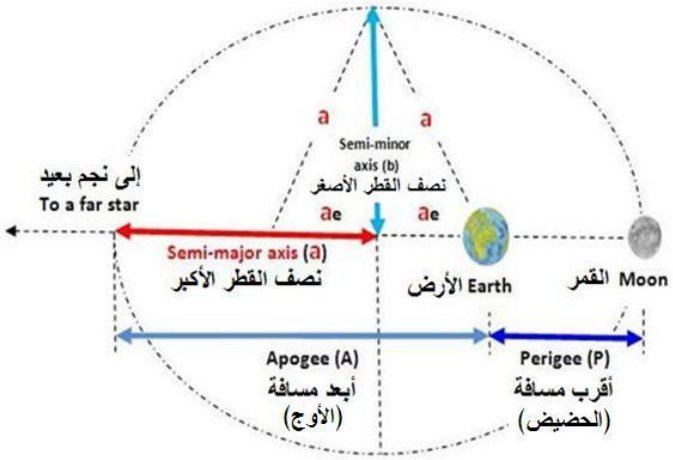

تتغير سرعة القمر وبعده عن الأرض طبقًا لموقعه، ولذا المدار القمري Lunar Orbit ليس بدائرةً كاملة الاستدارة؛ وَإِنَّمَا بيضي ناقص الاستدارة، وبدلاً من نصف القطر في الدائرة؛ له نصف قطر أكبر Semi-Major Axis (a) يمثل نصف مجموع أبعد مسافة أي الأوج Apogee (A) وأقربها أي الحضيض Perigee (P)، وطبقًا لنقصان الاستدارة Eccentricity (e = ae/ a)؛ تُعرف قيمة أبعد مسافة: A = a (1 + e)، وأقربها: P = a (1 – e)، ونصف القطر الأكبر: $\{1 + (1 - e^2)^{0.5}\}$ /2R = (A + P)/ 2 = a؛ حيث R البعد المتوسط Mean Distance، ويُعرف نصف القطر الأصغر Semi-Minor Axis (b): $b = \{a^2 - (ae)^2\}^{0.5}$، والبعد المتوسط: R = (a + b)/ 2، وتُعرف نسبة البعد الخاضعة للتغير Variable Ratio من أقصى بعدين: 2e = 2 ae/ a؛ أي ضعف نقصان الاستدارة، فتكون النسبة الثابتة: (جتا هـ) = 1 - 2e؛ ومتوسط نقصان الاستدارة (e): ٠,٠٥٤٢١٣٧٢٨٨٥. ولكن كل معايير الحركة الفلكية للقمر تتغير نتيجة التسارع الناجم عن الحركة في نظام غير مستقل؛ يؤدي لوجود نسبة خاضعة للتغير في بعده (وسرعته)، وتبقى نسبة تعبر عن بعد ثابت يجعل المدار القمري كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit؛ والسرعة الفاعلة في النظام المُستقل المعزول مُنتظمة ومُجردة وثابتة القيمة والاتجاه كما لو كانت رياضيا في خط مستقيم.

[٨] توحيد الأجرام في المنشأ والنظام

قياس حركة القوى بمعزل عن التأثير الخارجي؛ تَطَلَّب جعل حركة القمر مستقلة بحسب ما يَعُدُّون؛ باستبعاد نسبة تغير بعد القمر وسرعته من القيمة الوسطية لكل منهما، فتصبح حركته مستقلة مجردة ومنتظمة والمدار كامل الاستدارة، والمعيار ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد حقق شرط تحديد مرجع لحركة نسبية، وجعل كلا طرفي القياس في إطار مرجعي مُسْتَقِل مُغْلَق في نظام مَعْزُول عن التأثير الخارجي؛ في علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري؛ بالإمكان أن تدل على آلية نشأته.

(١) معايير حركة القمر حول الأرض:

يُعْرَف طول المدار (L) بمعرفة متوسط السرعة (V) وشهر نجمي (T'): L = V T'، أو البعد المتوسط (R): L = 2 π R؛ حيث: π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، والشهر النجمي: ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية، ومتوسط سرعة القمر حوالي: ١,٠٢٣ كما ثانية (Laros Astronomy; p.142)، والقيمة التي تحقق سرعة الضوء بمسافة ألف سنة قمرية في زمن يوم هي: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كما ثانية، لذا يُمكن تعريف القيم المُجَرَّدَة في النظام الأرض قمري المعزول: السرعة: ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كما ثانية، البعد عن الأرض: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ كم، طول المدار: ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم.

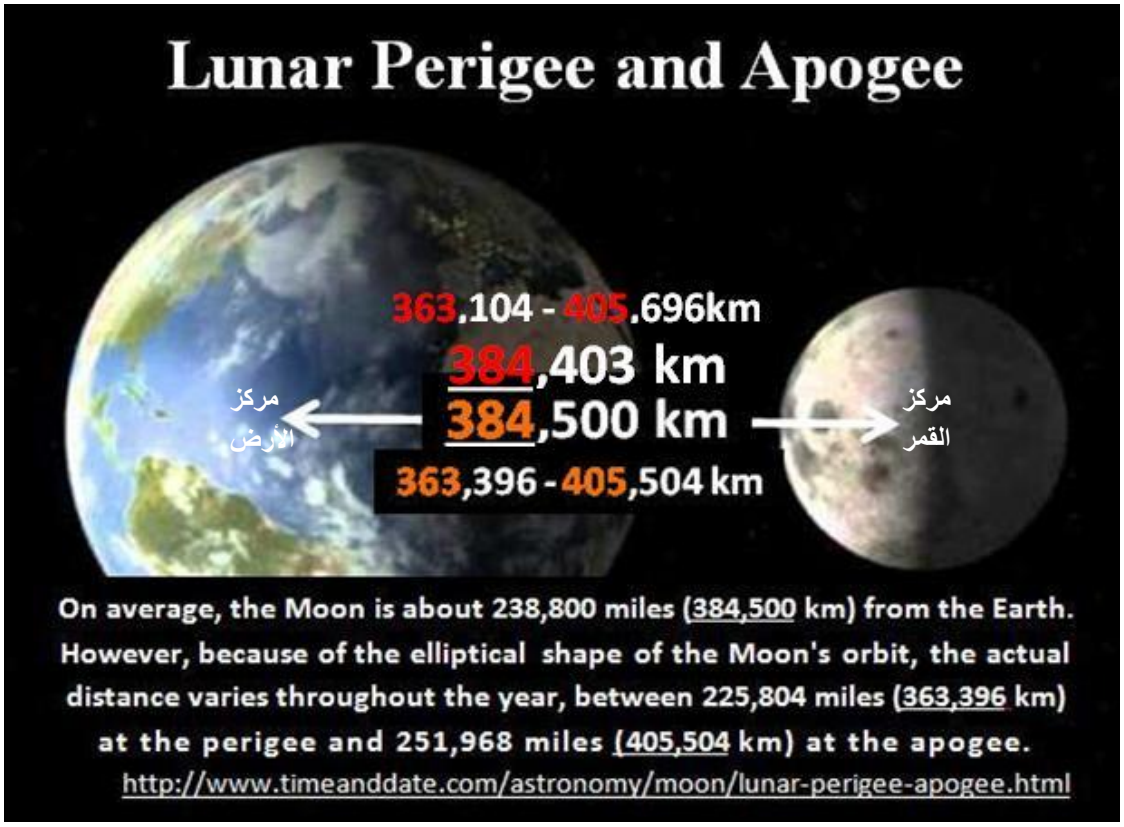

وبناء على العلاقة؛ أبعد مسافة للقمر عن الأرض: ٤٠٥٣٩٤,٠٦٨٣ كم، وأقرب مسافة: ٣٦٣٦٩٨,٦٨٢٤ كم، ونصف المحور الأصغر للمدار القمري: ٣٨٣٩٨٠,٨٤٣٩ كم، ومتوسط بعد القمر عن الأرض (R): ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ كم، ونصف المحور الأكبر (a): ٣٨٤٥٤٦,٣٧٥٣ (حوالي: ٣٨٤٥٠٠) كم؛ وهي نفس القيمة الفلكية؛ حوالي: ٣٨٤٥٠٠ كم.

(٢) اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد:

إذا كانت المسافة التي يقطعها الضوء بالفراغ في يوم تماثل المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة (١٢٠٠٠ دورة) في النظام الأرض قمري المعزول؛ فيُمكن صياغة معادلة ثابتة منذ نشأة النظام: (c = 12000 L'/t')؛ حيث c سرعة الضوء، L' طول مدار القمر، t' يوم نجمي، ويُمكن صياغتها على النحو التالي: c = 12000 V'T'/ t'، أو: c = 12000 2π R'/ t' في النظام المعزول؛ حيث T' شهر نجمي، V' سرعة القمر، R' بعده، π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، وحيث أن قيمة c ثابتة (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية)؛ إذن: V'T' = t' ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣؛ وقيمة R' = t' ٣,٩٧٦١٢٠٩٦٨.

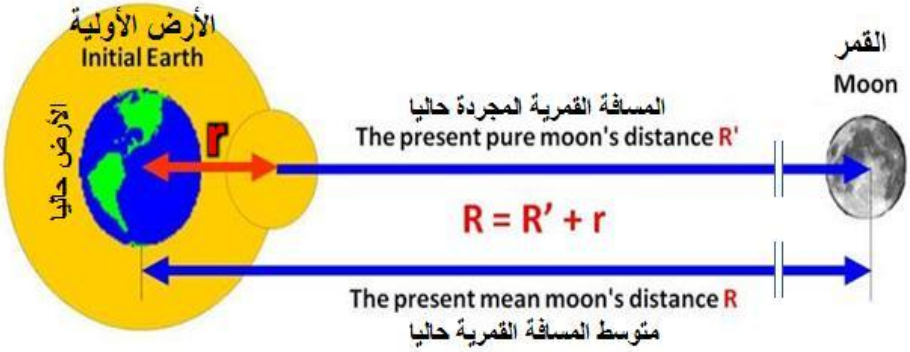

بتلاشـــــي بعد القمر (R' =
صفر) في العلاقة بين بعده R' ومدة دوران الأرض حول نفسها t' في النظام المعزول؛ تتبقى مسافة بالنظام المرصود تكافئ نصف قطر الأرض الأولية: r = R - صفر، وعند اتصال القمر بالأرض: T' = t'، واتصال القمر بالأرض يعكس تكون المدار الأولي للقمر على بعد يكافئ ضعف نصف القطر الأولي للأرض: R=2 r، ووفق العلاقة (t' = V'T' ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣) تكون سرعة دوران الأرض الأولية حول نفسها: V' = ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣ كم\ ثانية، وفارق البعد حاليا: ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ - ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ كم، ونصف قطر الأرض إذن أكبر بحوالي ٦,٥ مرة منه حاليا (٦٣٧٨,١ كم)؛ إذن الجسم الأولي الأم للأرض والقمر غيمة سديمية، وبمعرفة سرعة دورانها حول نفسها ونصف قطرها؛ تُعرف مدة دورتها Rotation Period (t): ١٠٤٧٨,٧٣٧١١ ثانية (أكثر قليلا من ٢,٥ ساعة)، فيكون اليوم الأرضي حوالي: ٤ ساعات[١٠٨]، والمدة حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنتيجة إذن أن اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد.

(٣) النشأة السديمية للنظام الأرض قمري:

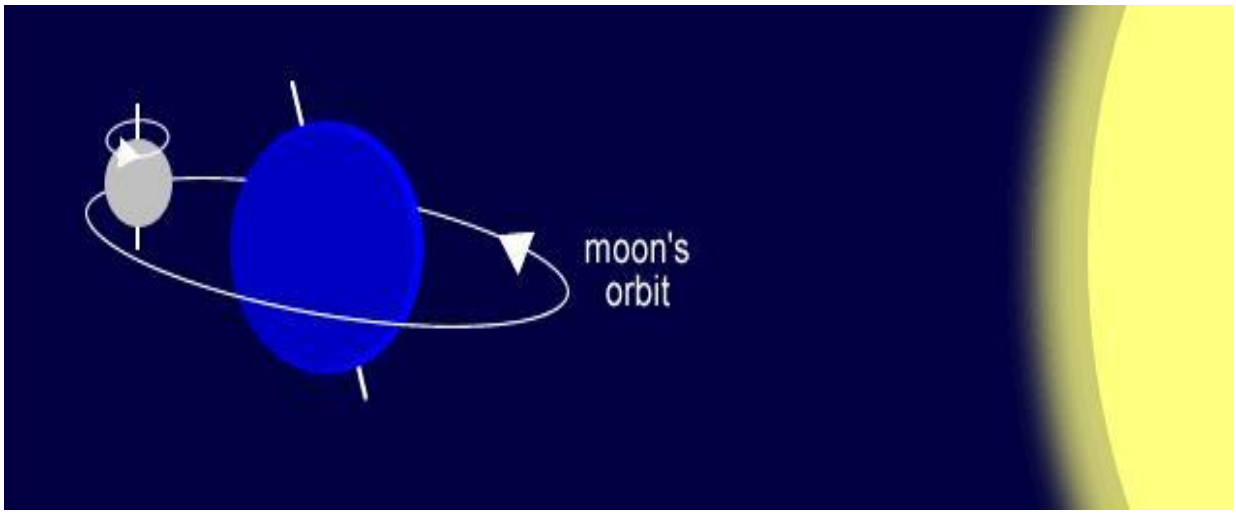

يدور القمر حول الشمس بتلازم مع دورته حول الأرض ليقطع نفس الزاوية (هـ) التي تقطعها الأرض حول الشمس في كل دورة حولها، وكأنه انتقل في مداره المعزول ليضيف نفس الزاوية؛ فيتغير اتجاه سرعته في موضعه الجديد بالنسبة إلى نجم بعيد، ليعكس وجود نسبة تسارع Acceleration يمكن استبعادها بتحليل متوسط سرعته كمتجه Vector، والنسبة الخاضعة للتغير Variable Ratio في متوسط البعد أو السرعة تكافئ: 2e، أي ضعف نقصان استدارة مدار القمر: e؛ وترجع لحركته حول الشمس، والنسبة الثابتة تكافئ: جتا هـ؛ وترجع لحركته حول الأرض فحسب، وعلى طول عمر النظام؛ تظل القيمة (r) ثابتة كبصمة لنصف قطر الأرض الأولية، لذا النسبة (r/ R) تكافئ دومًا (2e)، وتعكس معايير حركته عند أي بعد مهما تباعد القمر، وتمثل القيمة المتبقية (1-2e = جتا هـ) معايير حركته المجردة، ويَتَحَدَّد البعد المُجَرَّد R' بمعرفة متوسط بعده R: (جتا هـ /R' = R)، وبالمثل السرعة المُجَرَّدَة V': (جتا هـ /V' = V).

[١٠٨] تُضيف الأرض بالنسبة لنجم بعيد كل دورة لها حول الشمس دورة كاملة حول نفسها؛ إذن: (سنة\ يوم أرضي) = (سنة\ يوم نجمي) - ١، ولذا اليوم الأرضي حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنجمي: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، وعند نشأة الأرض؛ اليوم الأرضي (4/ 3t) = ١٣٩٧١,٦٤٩٤٨ ثانية (حوالي ٤ ساعات).

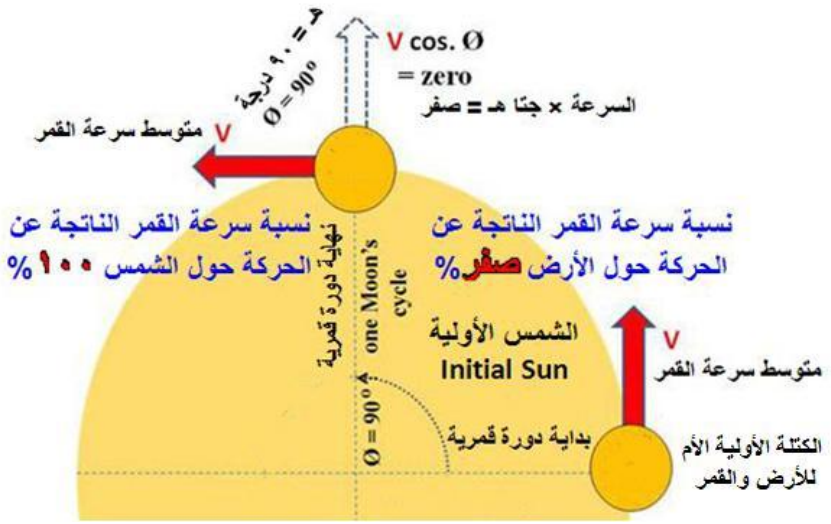

وعند اتصال القمر بالأرض الأولية؛ تكون النسبة: (r/ R) = ١، إذن القيمة: (2e) = ١، لكن: 2e-1 = جتا هـ؛ أي أن: جتا هـ = صفر، إذن: (هـ = ٩٠ درجة)؛ أي تكون الزاوية التي تقطعها الأرض والقمر حول الشمس قائمة خلال دورة قمرية، فتعني أن حركتيهما مماسية للشمس؛ وأنه لا أثر لحركة منفصلة للقمر عن الأرض، وكل حركة القمر بالنسبة لنجم بعيد ترجع لاتصاله بالشمس وحركته على طرفها مع الأرض لأن 2e = ١، والنتيجة إذن: وحدة الأرض والقمر مع الشمس في أصل واحد ومادة واحدة؛ ونظام حركي واحد وفق علاقة كونية واحدة تشمل بالمثل كل متبوع وتابعه.

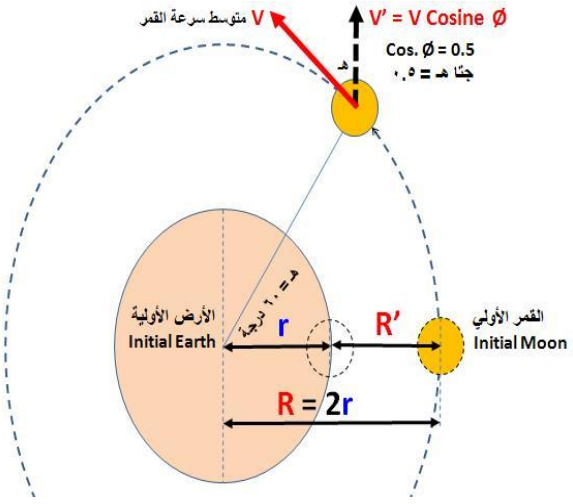

وبافتراض انفلات القمر عن الغيمة الأم للأرض والقمر واستقلاله عند نقطة توازن Equilibrium تتساوى عندها القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته أو أقصى بعديه (2e) مع القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الأرض: (جتا هـ)؛ فتكون النسبة (r/ R) = ٠,٥؛ والقيمة (2e) = ٠,٥، والقيمة (جتا هـ) = ٠,٥، والزاوية المركزية (هـ) = ٦٠ درجة، وحينئذٍ يتكون المدار الأولي عند متوسط بعد (R) يماثل ضعف بعده عند الاتصال: (R = 2r = R' + r)؛ وللتعديل وفق العلاقة الخطية تنقص قيمة متوسط سرعته في المدار الأولي إلى النصف، وتعكس مركبتها في الاتجاه الأصلي إذن بعد دورة قمرية سرعة الهروب Escape Velocity من الأرض؛ وتكافئ قيمتها نصف النصف: ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ كم\ ثانية، وحينئذٍ تكافئ قيمة شهر نجمي وفق العلاقة أربعة أيام نجمية: T' = 4 t'.

وعند اتصال القمر بالأرض والشمس؛ تكون النسبة المُعَبِّرَة عن السرعة القطرية المتجهة باتجاه القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته: 2e = ١ (١٠٠%)، ونسبة السرعة المماسية المُتَعَامِدَة على القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الأرض: جتا هـ = صفر، ومتوسط سرعته: V = (V'\ جتا هـ) = (V'\ صفر) = ∞؛ (ما لا نهاية)، وهي تعكس هروب من الأرض باتجاه القطر نحو نقطة توازن؛ حيث تتساوى نسبة حركته حول الأرض (جتا هـ) مع نسبة حركته حول الشمس (2e)، أي أن القمر والأرض أشبه بتوأم Twin؛ لانفصاله معها في نفس الوقت.

(٤) كثافة أولية واحدة للشمس والقمر والأرض:

بافتراض النشأة السديمية للأرض والقمر مع الشمس من جسم أصلي واحد متجانس؛ سرعة الهروب v من أي جرم منهم تتناسب حينئذٍ مع الكتلة M أو نصف القطر r: $V_1/V_2 = r_1/r_2$؛ $V_1^3/V_2^3 = M_1/M_2$، ولذا بمعرفة كتلة الشمس حاليا (1.99×10^{30} كجم) وكتلة الأرض (5.9736×10^{24} كجم) وكتلة القمر (7.35×10^{22} كجم) تكون سرعة الهروب من الشمس: 432.963991 كم\ ثانية، ونصف قطرها: 2888290.327 كم، وسرعة الهروب من القمر: 1.441882483 كم\ ثانية، ونصف قطره: 9618.756561 كم، وقانون الكثافة $Density = 3M/4\pi r^3$؛ حيث M الكتلة، r نصف القطر؛ $\pi = 3.1415926535898$، وبتطبيق القانون على كل من الأرض أو الشمس أو القمر تنتج نفس الكثافة:

التحقق:

كثافة الأرض = $3\times5.9736\times10^{24}/\{4\times3.1415926535898\times(41664726.3)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة الشمس = $3\times1.99\times10^{30}/\{4\times3.1415926535898\times(2888290327)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة القمر = $3\times7.35\times10^{22}/\{4\times3.1415926535898\times(9618756.561)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

فكثافة الأجرام الثلاثة إذن واحدة؛ أقل بحوالي ٥٠ مرة من كثافة الماء (١٠٠٠ كجم \ متر^3)، وأكبر بحوالي ١٥ مرة من كثافة الهواء عند سطح البحر (١,٣ كجم\ متر^3)، وتلك سمات غيمة سديمية انحدر منها القمر ومعه الأرض والشمس، وهي تسمح بنشأته كغيمة سديمية خارج حد روش Roche Limit؛ حيث يَتَكَسَّر التابع الصُّلْب نتيجة شدة الجذب جهة المتبوع.

(٥) المُعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض:

بمعرفة مسافة التباعد منذ اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٢ كم؛ يكون المعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض: ٤,٠٧ سم\ سنة، وبافتراض تسارع مُعدل التباعد إلى أن استقر المدار الأولي؛ تتبقى مسافة قدرها: ٣٠٠٩٣٤,١٥٦٩ كم بمعدل: ٣,٥٨ سم\ سنة، وبالتالي يُمكن معرفة متوسط معدل التباعد السنوي للقمر عن الأرض Mean Annual Moon's Recession Rate: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة، وهي نفس نتيجة القياس بالليزر بعد وضع عواكس على سطح القمر منذ رحلة أبوللو ١١ عام ١٩٦٩: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة (Laros astronomy, p62)، وهي تؤكد سبق النشأة السديمية للنشأة الجيولوجية للأرض منذ حوالي: ٤,٥ بليون سنة.

(٦) محطات في تاريخ الكون:

تُرَجِّح النشأة السديمية انفلات القمر من الأرض في السديم الشمسي عند نشأة النظام الأرض قمري وفق قانون المقذوفات: ($V^2 = 2MG/r$)؛ حيث V سرعة الهروب من أي جسم، M كتلته، r نصف قطره، G ثابت الجاذبية Gravitational Constant؛ ويمكن بواسطته تقدير التجاذب بين الأجرام الفلكية، وقيمة ثابت الجاذبية G حاليا: ٦,٦٧٤٢٨ × ١٠$^{-٢٠}$ كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبتطبيق القانون عند نشأة النظام الأرض قمري يتبين أن ثابت الجاذبية G ليس بثابت مُطلق على الدوام؛ وإنما تتناقص قيمته مع الزمن؛ حيث كانت منذ حوالي ٨,٤ بليون سنة عند نشأة النظام أكبر بحوالي الضعف: ١,٣٦٠٣٨٣٤٢ × ١٠$^{-١٩}$ كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبطريقة أخرى: ($V^2 = 2MG/r$)؛ أي: $G_1/G_2 = V^2_1 r_1 / V^2_2 r_2$؛ حيث G_2 حاليا بافتراض ثبات M، إذن G_1 حوالي الضعف، وتؤيد تلك النتيجة ما توقعه الفيزيائيون؛ مثل بول ديراك Paul Dirac في عام ١٩٣٧ وبرانس ودايك Brans & Dicke في عام ١٩٦١.

ووفق قانون ثبات العزم الزاوي Conservation of angular momentum؛ إذا اقترب القمر من الأرض تزداد سرعته وإذا ابتعد تقل، بحيث تظل القيمة: (بعده R' × سرعته V' × كتلته M) قيمة ثابتة، وبعبارة أخرى: طالما بقيت كتلته ثابتة تظل القيمة: (R'V') ثابتة على طول عمر النظام الأرض قمري، وعند استقرار مدار القمر الأولي تساوي القيمة M_1 R'V' = ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ × ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ = M_1 ٢٦٠٢٢٤,٣٨٩١، وفي الوقت الحالي تساوي القيمة M_2 R'V' = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = M_2 ٣١٢٤١٤,٣٠٧٩؛ إذن قيمة: M_2 = M_1 ٠,٨٣٢٩٤٦٤٥١٣، أي نقصت كتلة القمر بنسبة ١٦,٧%؛ مما يُوافق فقده لكل غلافه الغازي نتيجة التهابه في الماضي.

(٧) بعد الأرض عن الشمس:

عند اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: T' = t'؛ t' / V'T' = R' / t' 2π، والعلاقة الأساسية هي: t' / R' = ثابت، وبالتعويض إذن: t' / R' = V'R' = ثابت، وكتلة القمر في النظام المعزول ثابتة، وحينئذٍ تكون القيمة (MVR= ثابت)؛ وهي نفس صيغة قانون ثبات العزم الزاوي، وبالتعويض: t' / T' × V' = ثابت، ينتج أن السرعة الابتدائية V' قيمة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولاً والكتلة ثابتة[١٠٩]، والسرعة الابتدائية للشمس حين انفصال الأرض (V'°_{Sun}): ٤٣٢,٩٦٣٩٩١ كما ثانية، فيمكن تطبيق نفس العلاقة على الشمس والأرض: V'°_{Sun} × t'_{Sun} = R'_{Earth} 2π؛ حيث زمن دورة الشمس حول نفسها: t'_{Sun}، وبعد الأرض عنها: R'_{Earth}، وحاليًّا مدة الدورة الاستوائية للشمس حول نفسها تزيد قليلا عن ٢٥ يوما، والقيمة: ٢٥,١٢٦٩٤٨٩٦ يومًا؛ تحقق البُعد الوسطي للأرض حاليا، وهو يُستخدم في القياسات الفلكية باسم الوحدة الفلكية Astronomical Unit: ١٤٩٥٩٧٨٧٠ (حوالي: ١٥٠ مليون) كم، والتوافق مع الواقع لنظام حركة الأرض حول الشمس ونظام حركة القمر حول الأرض؛ يستبعد المُصادفة ويؤيد افتراض وحدة الأصل.

والعلاقة مُثلث بالنظام الأرض قمري بدلالة اليوم والألف سنة، ولكن المبدأ الحركي واحد لكل الأجرام السماوية؛ فهي إذن علاقة كونية، وعلى بساطتها أوجزت ضروبًا من التوحيد شملت القوى والأجرام الفلكية، ووَحَّدَت كل متبوع وتابعه في أصل واحد ونشأة واحدة ومادة واحدة ونظام حركي واحد، سمة كل موجود إذن؛ الحركة في انضباط على كافة المستويات، والضابط بكل نظام حركي هو السرعة الابتدائية، وتتبدى للفطين كحالات طاعة لتقدير القدير، وكأن العلاقة تُعَامِل الأجرام الفلكية بنفس المبدأ الواحد لجميع الموجات؛ فلكل منها طول وتردد يعكس المُدة وفق سرعة ابتدائية ثابتة، ومع تزايد بعد التابع تقل مدة دوران المتبوع، وكذلك الموجات: بتزايد الطول يقل التردد وتظل قيمة سرعة الضوء ثابتة، ومظاهر التوحيد والتقدير في كل ما صَنَع القدير؛ براهينٌ للفطين على مطلق قدرته ووحدانيته، وهو مَغْزَى العلاقة الثَّرِيَّة بالحقائق العِلْمِيَّة.

---

[١٠٩] عند نشأة أي نظام فلكي: عندما يتلاشى بعد التابع في النظام المعزول؛ ما يتبقى من البعد المرصود يمثل نصف قطر المتبوع، وفي النظام المعزول تتوحد سرعة التابع حول المتبوع مع سرعة المتبوع حول نفسه عند نشأة النظام، وكلما ابتعد التابع تقل سرعته وفق علاقة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولا والكتلة ثابتة.

[٩] التوحيد رسالة الأنبياء

كانت السنة في تاريخ العبرانيين قائمة كذلك مثل العرب على سير القمر في ١٢ دورة حول الأرض، وكانت غُرَّات الأشهر قبل القرن الرابع للميلاد تُقَرَّر حسب رؤية هلال أول الشهر، وما زال التقويم القمري مُسْتَخْدَمًا إلى اليوم في الأعياد الدينية عند اليهود عملاً بمعهود الآباء، وفي سفر المزامير (١٠٤\ ١٩): "صُنِعَ القمر للمواقيت"، وفي سفر يشوع بن سيراخ (٤٣\ ٦و٧): "القمر بجميع أحواله المؤقتة هو نبأ الأزمنة وعلامة الدهر.. والقمر علامة العيد"، وورود نفس العلاقة بين اليوم والألف السنة في إرث موسى وإرث المسيح عليهما السلام في سياق بيان سرعة مجيء يوم الرب وزوال السماوات والأرض؛ رغم التشويه والخلو من معيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، دليل قاطع على أن دعوة الأنبياء على طول سلسلة النبوات؛ هو أزلية القَدِير تعالى وحده ووحدانيته؛ وبراءة المسيح عليه السلام من بدعة التثليث.

في سفر المزامير (٩٠\ ١-٤): "صلاة لِمُوسَى رَجُلِ اللهِ.. من قبل أن تُولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل"، وفي رسالة بطرس الثانية (٣\ ٢): "لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد".

والسياق مُتعلق بسرعة مجيء يوم الرب وهلاك الفجار يوم الدين ونشأة عالم آخر ينعم فيه الأبرار؛ بصريح رسالة بطرس الثانية (٣\ ٢-١٤): "لتذكروا الأقوال التي قالها سابقا الأنبياء القديسون (في الوعد بمجيء يوم الرب)..، سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون..، قائلين: أين هو موعد مجيئه، لأنه.. يخفى عليهم.. أن السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله (كن) قائمة..، وأما السماوات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة.. إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار، ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده..، سيأتي.. يوم الرب؛ الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، فبما أن هذه كلها تنحل؛ أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة؛ يسكن فيها البَرُّ، لذلك أيها الأحباء؛ إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام"، والنصوص صريحة في بيان "سرعة مجيء يوم الرب": "ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" إِشَعْيَاء ١٣\ ٦، "ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم" يوئيل ١٢\ ١، "كلص في الليل هكذا يجيء لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتةً كالمخاض للحبلى فلا ينجون" ١تسالونيكي ٥\ ٢و٣، "تؤكل الأرض كلها لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض" (صفنيا:١\ ١٨)، "هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا" (إِشَعْيَاء:١٣\ ٩)، "يوم الرب عظيم ومخوف جدا فمن يطيقه" (يوئيل:٢\ ١١)، "يوم سخط يوم ضيق وشدّة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب" (صفنيا:١\ ١٥)، "ويل للذين يشتهون يوم الرب" (عاموس:٥\ ١٨)، "قريب يوم الرب على كل الأمم" عوبيديا ١٥، "قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جدا" صفنيا ١\ ١٤، "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة" يوحنا ٢\ ١٨.

الدين إذن في الأصل واحد ورسالة التوحيد إلى بني إسرائيل واحدة؛ وما عَكَّرَ مجرى النبع الصافي سوى أوهام وثنية وسلطة رومانية جائرة، ولا يستقيم إذن اتهام القرآن الكريم بالاقتباس من إرث سبق ناله التشويه بمرور الزمان؛ وهو الأكمل والمُتَفَرِّد وحده بمفتاح القياس: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الجامع لجملة حقائق علمية، والاستنتاج إذن أن سرعة الانتقال بالكون دليل مُدَّخَر لقادم الأيام على أن أزلية القدير ووحدانيته هي أصل رسالة الأنبياء؛ وأن العلاقة تنتظر القادم المُؤَيَّد بمفتاح القياس لتشهد بنبوته؛ يَتَلَقَّى تصويب ما غَيَّرَتْهُ الأيام وأتلفته الأيادي ويُخبر به فيصفو مجرى النبع، منحته عناية القدير النُطق بكامل الحق؛ مِمَّا لَمْ يَكُن في وسع أمة قبله احتماله وتَفَهُّمُهُ؛ وهو ما بَشَّرَ به عيسى عليه السلام أمته (إنجيل يوحنا ١٦\ ١٣و١٤): "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم؛ ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه..، ويُخبركم بأمور آتية، ذاك يُمَجِّدُنِي؛ لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم".

وقد فاضت الأسفار بعلامات ذلك القادم بعد المسيح عليه السلام والمُؤيد بالآيات؛ ليُقيم الحق وتنتشر دعوته في كل الأرض: "هو ذا عبدي الذي أعضده مُختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم (جميعًا).. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته (له شريعة كموسى لكنها عالمية غير قومية)، هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها.. أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك.. نورا للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة (غرض جهاده تحرير المُضطهدين)، أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (من بعدك).. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض (حيث تبلغ دعوته).. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار (موطنه ومبعثه) التي سكنها قيدار (ابن إسماعيل جد العرب؛ سكن حول بكة الاسم القديم لمكة)، لتترنم سكان سالع (جبل بيثرب مدينة هجرته)؛ من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا" (إِشَعْيَاء:٤٢ ١-١٢)، "ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده (بلا لوثة التثليث الوثنية)" (مزامير:١٤٨ ١٣).

والعرب ذُرية إسماعيل؛ بِكر إبراهيم وأخ إسحاق جد اليهود، وقد تفرقوا في الجزيرة وبقيت مكة في وسطهم تضمهم حول الكعبة وزمزم على ملة الجد إبراهيم، وفي خطاب القدير لموسى عليه السلام: "أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم (مكة) مثلك (صاحب شريعة)" تثنية:١٨ ١٨، صفته الصادق الأمين؛ ويقيم دولة: "يُدعى أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويُحارب" رؤيا يوحنا:١٩ ١١، حجته بيان مقروء؛ أي قُرآن: "وأجعل كلامي في فمه" تثنية:١٨ ١٨، وبيانه المقروء هو مُعجزته الخالدة: "ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم (الوثنية)" يوحنا:١٩ ١١، وخطابه المُوجه للأجيال يتضمن بيان حقائق خفية عن العالم؛ لا يحتملها جيل المسيح عليه السلام الذي ترك تفصيلها لوارث إرث النبيين مُبشرًا بالقادم بعده: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشُدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه؛ بل بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا:١٦ ١٢-١٥.

واتهام القرآن لأهل الكتاب بالانحراف في الدين وتحريف مبدأ التوحيد رسالة كل الأنبياء؛ ليس خاليا من الدليل، ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مأثور أهل الكتاب تكشف كم بَعُدَت المسيحية المُتأغرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقيه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ٦ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ٥ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ٤ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا: ١٣ ١٦، وعندما سُئِل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ٢٢ ٣٦، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١٢ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ٢٢ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ٥ ١٧، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله داعيا إلى وحدانيته تعالى كأعلام التوحيد سابقيه على طول التاريخ: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا:١٢ ٤٤، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ٥ ٣٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ٥ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى: ١٩ ١٧، ومرقس: ١٠ ١٨، ولوقا: ١٨ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تُخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المُسلط سيفًا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١٢ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.

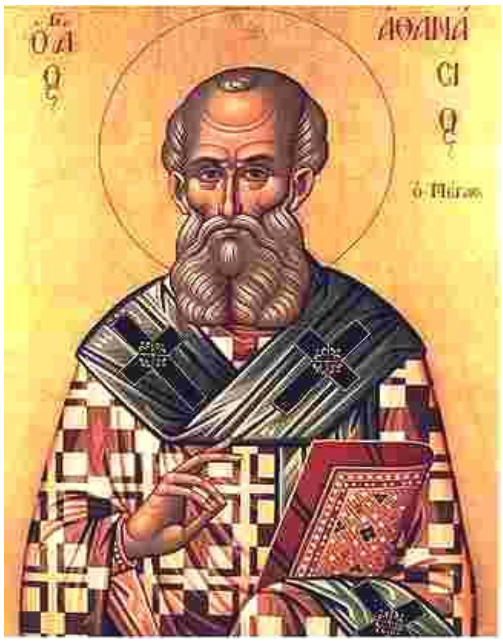

اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)

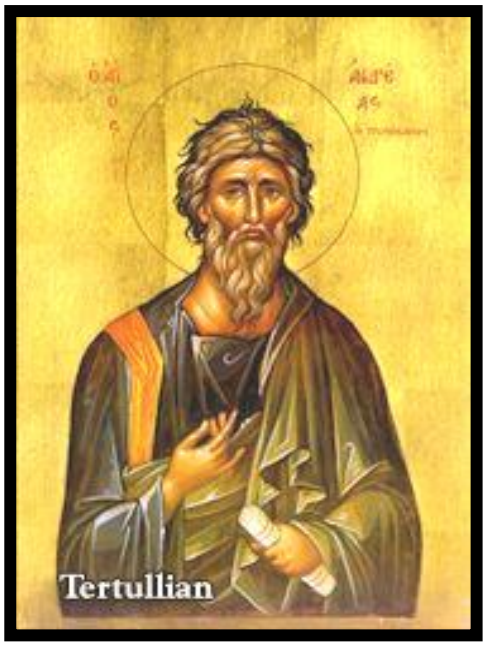

ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م – ٢٢٥م)

فمن أين إذن جاء التثليث طالما لم يُصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد!، ويُجيب قاموس الكتاب المقدس قائلاً: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥م أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م) .. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م).. واضعًا أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النُّبُوَّة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يُؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوحدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.

وتتصل حلقات سلسلة النبوات منذ القدم برسالة واحدة إلى الأمم، هي الدعوة إلى وحدانية الله تعالى؛ مُعارضةً المُعتقد الوثني القديم في تأليه العظماء والظواهر المجهولة المُستغربة والمُجسدات، ولذا تفيض مُدونات أهل الكتاب ببيان مبدأ التوحيد بوضوح تام: "الله واحد" (١كورنثوس ٦\١٢، غلاطية ٣\٢٠، يعقوب ٢\١٩، رومية ٣\٣٠، مرقس ١٢\٣٢)، "ليس إله آخر إلا واحدا" (١كورنثوس ٨\٤)، "أنا الله وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\٢٢)، "إله واحد" (١تيموثاوس ٢\٥)، "أنا الرب ولا إله آخر غيري.. ليس سواي" (إشَعْيَاء ٤٥\٢١)، "أنا الرب وليس آخر؛ لا إله سواي" (إشَعْيَاء ٤٥\٥)، "الإله الواحد" (يوحنا ٥\٤٤)، "هل يُوجد إله غيري" (إشَعْيَاء ٤٤\٨)، "لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري؛ أنا الرب وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\٦)، "اذكروا الأوليات..؛ أنا الله وليس آخر الإله وليس مثلي" (إشَعْيَاء ٤٦\٩)، "لتعلم أن الرب هو الإله؛ ليس آخر سواه" (التثنية ٤\٣٥)، "أنت الإله الحقيقي وحدك" (يوحنا ١٧\٣)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه؛ هذا إذ هو رب السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة" (أعمال ١٧\٢٤)، "أنت هو الإله الصانع السماء والأرض" (أعمال ١٤\٢)، "ليس سواه" (تثنية ٤\٣٥)، "وحدك الله وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\١٤)، "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" (١الملوك ١٨\٦٠).

وكلمة البدء التي قامت بها السماوات والأرض وفاضت بها المُدونات يُمثلها الأمر: (كن)، والمُوجه للمعدوم قبل تكونه؛ تصويرًا لطلاقة القدرة والمشيئة النافذة، وقائلها هو العلي القدير وحده بلا شريك في مشيئته وقدرته على الخلق من عدم: "بكلمة الرب صُنِعَت السماوات؛ وبنسمة فيه كل جُنودها" (مزامير ٣٣\٦)، "قال فكان هو أمر فصار" (مزامير ٣٣\٩)، "صنع الجميع من العدم" (٢مكابيون ٧\٢٧) ، وبكلمة (كن): "يُحيي الموتى؛ ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رومية ٤\١٧)، "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله" (أعمال ١٥\١٨)، "له وحده الخلود" (١تيموثاوس ٦\١٥)، "في البَدء خلق الله السماوات والأرض" (تكوين ١\١)، "أمر فخُلقت" (مزامير ١٤٨\٥)، "أنا الرب صانع كل هذه" (إشَعْيَاء ٤٥\٧)، "الرب خالق السماوات؛ هو الله مُصور الأرض وصانعها، هو قررها لم يخلقها باطلا للسكن صورها" (إشَعْيَاء ٤٥\١٨)، "أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها؛ يداي أنا نشرتا السماوات وكل جندها أنا أمرت" (إشَعْيَاء ٤٥\١٢)، "ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السماوات" (إشَعْيَاء ٤٨\١٣)، "في البدء أسست السماوات والأرض" (مزامير ١٠٢\٢٦)، "التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض؛ لأني أنا الله وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\٢٢).

قال ابن تيمية: "فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به؛ أنه خُلق بكلمة قوله (كن) ولم يُخلق على الوجه المُعتاد من البشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه (أمر الله) فالمُراد أن الله كونه بأمره..؛ فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له؛ وتبين أنه عبد من عباد الله" (الفتاوى:١٧\ ٢٨٤)، وتسميتُهُ ابنًا مجازًا لا تعني الشركة في ذات الله لأن: "أولاد الله أي المؤمنون" (يوحنا:١\ ١٢)، يقول العلي القدير: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:٦٤.

وفي عبارة ركيكة صادمة تُخالف كل إرث التوحيد؛ تجعل آخر مدونة مع الله تعالى شريك بالتمحك أنه الكلمة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا:١\ ١) هكذا!!!، ومثلها في الغلو: "بكر كل خليقة" (كولوسي:١\ ١٥)، "كُوّنَ العالم به" (يوحنا ١\١٠)، ولكن ليس المُراد بكلمة البدء سوى ما كُوّنَ بها، وهو مادة تكوين السماوات والأرض بدليل تطابُق تفاصيلها مع كشوف العلم؛ خاصةً شيء واحد هو سرعتها الثابتة منذ البدء، ولذا فإنها تُمثل تحديًا للذين حرَّفوا الكلمة لتُصبح شريكًا معبُودًا؛ غُلوًا في المسيح عليه السلام، ويكفي أنه نفسه قد تبرأ من هذا الغلو وأعلن عبوديته قائلاً: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا:١٣\ ١٦، "إن قلنا أن لنا شركة معه..؛ نكذب ولسنا نعمل الحق" ١يوحنا:١\ ٦، وأعلنها مُدويةً: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا:١٧\ ٢٣.

وليس الخلاف في كون المسيح عليه السلام كلمة؛ فكلمات الله لا يحصيها العد، لأن الجميع وجدوا بكلمته (كن)، ولكنهم حملوها على كلمة البدء كصفة أزلية للذات العلية في الإبداع من عدم؛ لا المُكَوَّن بها، فصار في مُعتقدهم صورة عن الله، ولكنه قطعًا ليس كلمة البَدء؛ لأنها ليست إلا الأمر الذي كُوِّنَت به مادة التكوين بدليل شيء واحد هو القيمة الثابتة لسرعتها الفائقة، والتي هي سرعة مجيء يوم الرب ، وفي القرآن الكريم حل الإشكال في مناقضتهم للتوحيد؛ وهو أهم قضية في الدين، بما توهموه من صرف الكلمة على غير الوجه، ومعارضة البديهي تهربًا بمثل قولهم "الثلاثة هم واحد"!!!، لأن القرآن الكريم قد بَيَّنَ أن كلمات الله تعالى لا نفاذ لها ولا يحصيها العد؛ أي في تدبير شئون كل الخلائق بنظام وقصد، وخص المسيح عليه السلام بالوصف (كلمة) ليعني أنه تكون بها مثل كل الكائنات والتثليث دخيل.

وتأليه المسيح عليه السلام لم يتبلور كمُعتقد إلا بعد جدال عنيف بعده بقرون في مجامع الكهنة رعايا الإمبراطورية الرومانية، ولذا الدخيل واضح في مثل: "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يوحنا:٥\ ٧و٨)، هكذا لم تفلح محاولة إقحام الوثنية!، وليس الروح إلا الوحي: "لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسُوقين من الرُوح القُدُس" (٢بطرس:١\ ٢١)، فتأمل كيف: "بلا عذر.. لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله؛ بل حمقوا في أفكارهم..، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى؛ بشبه صورة الإنسان الذي يفنى..، عبدوا المخلوق دون الخالق" (رومية١\ ٢٠-٢٥)، "كيف تقولون نحن حُكماء وشريعة الرب معنا! حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا:٨\ ٨)، "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ إذ قد حرفتم كلام الله الحي" (إرميا:٢٣\ ٣٦)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا، إذ هو رب السماء والأرض؛ لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:١٧\ ٢٤)."العَلِي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:٧\ ٤٨)، "يا لتحريفكم!" (أشعيا:٢٩\ ١٦).

وفي قوله تعالى ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء:١٧١؛ قال ابن تيمية: "في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر؛ فيسمى المخلوق خلقا.. ولهذا يُسمى المأمور به أمرًا"[١١٠]، "فتسمية المخلوق بالكلمة؛ كلمة من هذا الباب"[١١١]، و"كلمات الله كثيرة؛ وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام؛ لم يجز أن يكون خالقا، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة؛ وخص باسم الكلمة، فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره؛ بل خرج عن العادة، فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة بالبشر، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ لا يوجب أن يكون مُنفصلاً من ذات الله، كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية:١٣[١١٢]، وقال ابن كثير: "أي إنما هو عبد من عباد الله؛ وخلق من خلقه، قال له كن فكان ورسول من رسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾؛ أي خلقه بالكلمة[١١٣]، أي: "كن"[١١٤].

وقال ابن تيمية: "وكذلك الله تعالى قال: ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٤٥-٤٧؛ ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق؛ ليس هو ما يقوله النصارى، منها أنه قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ نكرة في الإثبات؛ يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى، ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما قال..: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٥٩، وقال..: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مريم:٣٤و٣٥[١١٥]، فهذه ثلاث آيات في القرآن (آل عمران ٤٧ و٥٩ ومريم ٣٥) تُبين أنه قال له ﴿كُنْ﴾ .. وهذا تفسير كونه ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقال: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أخبر أنه ابن مريم؛ وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة؛ هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى"[١١٦]، وإذن: "سُمِّيَ (كلمة) لأنه بالكلمة كان؛ وهي (كن)، وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل"[١١٧]، فسماه الله عز وجل كلمته؛ لأنه كان عن كلمته"[١١٨]، لذا : "سميت الأعيان كلمات"[١١٩]، "فقد أخبر أن كلماته لا نفاد لها بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف:١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان٢٧"[١٢٠]، وكما أن الأمر يدل على آمر والكلمة على ناطق؛ كذلك تدل أعيان الموجودات على مُوجدها"[١٢١].

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في التحريف وبراءة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وَصِدْقِه في جمع النصارى أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وتحقق نبأه في تأليههم أمه قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧، والمضمون أن المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.

---

[١١٠] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٥.
[١١١] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ج١ص٣٢٦.
[١١٢] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٦.
[١١٣] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير: ١١ ٥٩١.
[١١٤] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٥.
[١١٥] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٤.
[١١٦] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٥.
[١١٧] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ زاد المسير:١١ ٣٨٣.
[١١٨] تفسير الطبري:١١ ٥٩١.
[١١٩] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني؛ التعريفات:١١ ٣١٣.
[١٢٠] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:٨٦\١٧.
[١٢١] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١١ ٣١٣.

ولو كان مع الله شريك لاختل نظام الكون، والدليل الصارم على وحدة النظام هو ثبات قيمة الحد الأقصى للانتقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٢٢، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٩١.

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة أمثال" يشوع بن سيراخ:١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتُعطي الجُهَّال ذكاءً والشاب معرفةً وتدبُّرًا. يسمعها الحكيم فيزداد علمًا والفهيم يكتسب تدبيرًا. لفهم المثل" الأمثال:١١ ٤-٦ Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتدأ يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرما وسلمه إلى كرامين وسافر زمانا طويلا. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغا. فعاد وأرسل عبدا آخر فجلدوا ذلك أيضا وأهانوه وأرسلوه فارغا. ثم عاد فأرسل ثالثا فجرحوا هذا أيضا وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويُعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشا!. فنظر إليهم وقال: إذًا ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا:٢٠ ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تَنَبَّأ بالنبي بعدهُ على درب التوحيد: "متى جاء المُعَزِّي.. رُوح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا:١٥ ٢٦ John، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرْشِدُكُم إلى جميع الحق..؛ ذاك يُمَجِّدُنِي لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم" يوحنا:١٦ ١٣و١٤ John، وتُؤيده نبوءة مُعَاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عَمَّدَه بنهر الأردن بِمَثَل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتُلْقَى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يَأْتِي بَعْدِي؛ هو أقوى مِنِّي؛ الذي لَسْتُ أهلاً أن أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" متى:٣ ١٠و١١ Matthew، ولم يجد الرَّسُول عيسى عليه السلام إلا أن يُفَسِّر لهم النبوءة صَرِيحًا: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يَتَرَضَّض ومن سقط هو عليه يَسْحَقُه" متى:٢١ ٤٣و٤٤ Matthew، ولا يَبْعُد هَذَا عن قول العَلِي القَدِير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

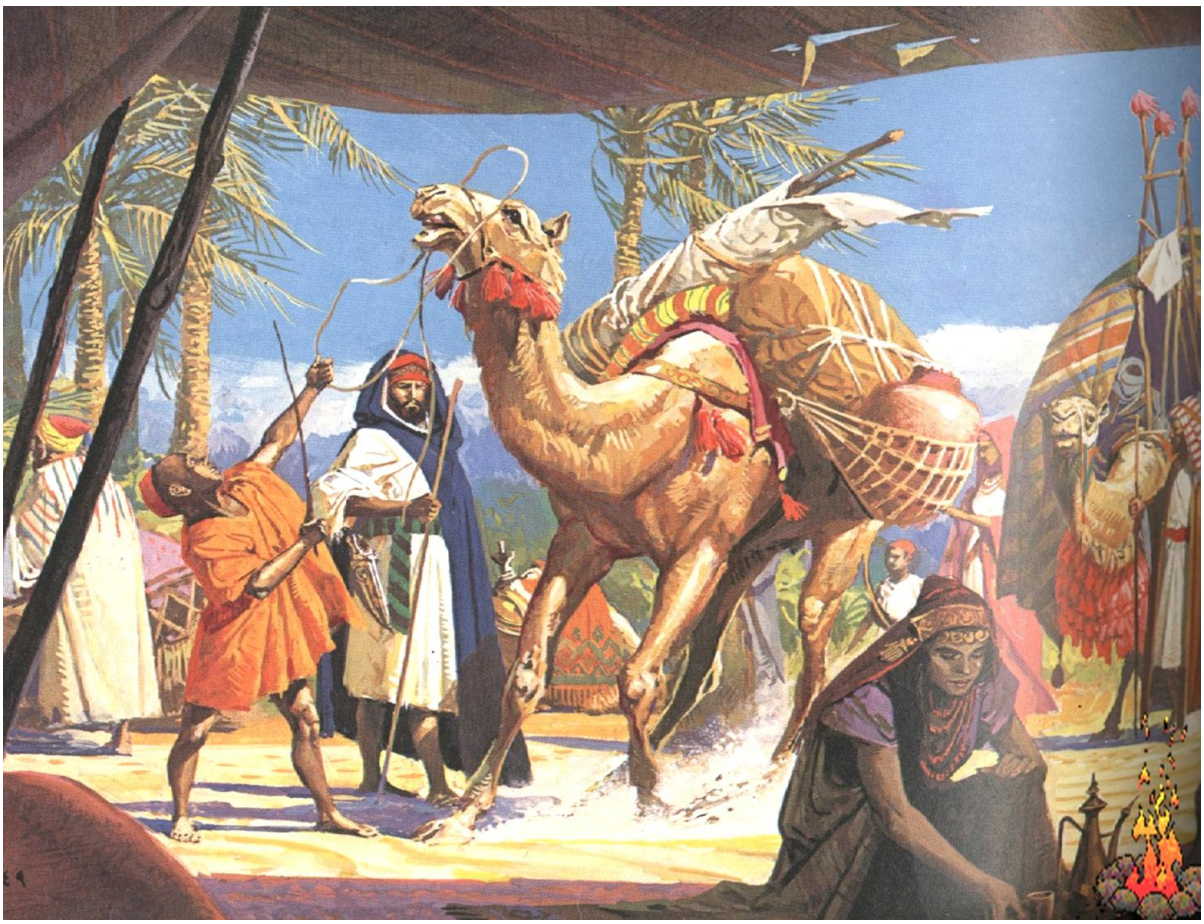

ومنذ أكثر من ألف سنة؛ كانت براعة قبائل العرب مُتمثلة في التجارة وأشعار الانتصار في الغزوات، ولم يكن لهم ولا للعبرانيين أدنى مَعْرِفَةً بسرعة الضوء البالغة ولا بمعايير حركة القمر؛ وهي أمور آتية، فالتحقق إذن من القياس مَرْهُون بعصر قادم يَتَّسِم بالعلم بخفايا التكوين؛ لبيان تقدير واحد شامل منذ نشأة الكون حتى نهايته، برهانًا مُدَّخَرًا لا يَعْقِلُهُ إلا العَالِمُون؛ يُعلن أن القرآن الكريم ليس بقول بشر، وإِنَّمَا جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ ومُكَمِّلاً ومُؤَيَّدًا بالدليل؛ ومُحَقِّقًا لوعد جَازِم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {سأَل سائلٌ} قرأه الجمهور بهذين الحرفين في سأل سائل، وفيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: معناه استخبر مُستخبر عن العذاب متى يقع؛ على التكذيب، الثاني: دعا داع أن يقع البلاء بهم على وجه الاستهزاء؛ قاله مجاهد، الثالث: طلب طالب، {بعذابٍ واقعٍ} وفي هذا الطالب ثلاثة أقاويل، أحدها: أنها لنضر بن الحارث، وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر، وقد سأل ذلك في قوله: {اللهم إن كان هذا هو الحقَ من عندك فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم} الأنفال:٣٢؛ قاله ابن عباس ومجاهد، الثاني: أنه أبو جهل وهو القائل لذلك؛ قاله ربيع بن أبي حمزة، الثالث: أنه قول جماعة من قريش، وفي هذا العذاب قولان؛ أحدهما: أنه العذاب في الآخرة، قاله مجاهد، الثاني: أنها نزلت بمكة وعذابه يوم بدر بالقتل والأسر؛ قاله السدي، وقرأ نافع وزيد بن أسلم وابنه (سأل سايل) غير مهموز، وسايل واد في جهنم، وسمي بذلك لأنه يسيل بالعذاب، {مِن اللَّهِ ذي المعارج} فيه خمسة تأويلات؛ أحدها: ذي الدرجات؛ قاله ابن عباس، الثاني: ذي الفواضل والنعم؛ قاله قتادة، الثالث: ذي العظمة والعلاء، الرابع: ذي الملائكة؛ لأنهم كانوا يعرجون إليه؛ قاله قتيبة، الخامس: أنها معارج السماء؛ قاله مجاهد، {تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه} أي تصعد، وفي الروح ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه روح الميت حين يُقبض؛ قاله قَبيصة بن ذؤيب يرفعه، الثاني: أنه جبريل كما قال تعالى: (نزل به الروح الأمين)، الثالث: أنه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس؛ قاله أبو صالح، {في يوم كان مِقدارُه خمسينَ ألْفَ سنةٍ} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه يوم القيامة؛ قاله محمد بن كعب والحسن، الثاني: أنها مدة الدنيا، مقدار خمسين ألف سنة؛ لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا الله؛ قاله عكرمة، الثالث: أنه مقدار مدة الحساب في عرف الخلق؛ أنه لو تولى بعضهم مُحاسبة بعض لكان مدة حسابهم خمسين ألف سنة، إلا أن الله تعالى يتولاه في أسرع مدة، وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يُحاسبهم الله بمقدار ما بين الصلاتين؛ ولذلك سمى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين، {فاصْبِرْ صَبْراً جَميلاً} فيه أربعة تأويلات؛ أحدها: أنه الصبر الذي ليس فيه جزع؛ قاله مجاهد، الثاني: أنه الصبر الذي لا بث فيه ولا شكوى، الثالث: أنه الانتظار من غير استعجال؛ قاله ابن بحر، الرابع: أنه المُجاملة في الظاهر؛ قاله الحسن، وفيما أُمر بالصبر عليه قولان؛ أحدهما: أُمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وأنه ساحر وأنه شاعر؛ قاله الحسن، الثاني: أنه أُمر بالصبر على كفرهم، وذلك قبل أن يفرض جهادهم؛ قاله ابن زيد. {إنهم يَرَوْنه بعيداً} فيه قولان؛ أحدهما: أنه البعث في القيامة، الثاني: عذاب النار، وفي المُراد بالبعيد وجهان؛ أحدهما: مُستحيل غير كائن، الثاني: استبعاد منهم للآخرة، {ونراه قريباً} أي كائناً، لأن ما هو كائن قريب"[١٢٢].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}؛ المفردات: (سَأَلَ سَائِلٌ): طلب ودعا داعٍ، (وَاقِعٍ): نازل وحاصل، (دَافِعٌ): مانع يردّه، (الْمَعَارِجِ): جمع معرج؛ وهو المصعد، أي: صاحب المصاعد والدرجات التي تصعد فيها الملائكة من سماءٍ؛ وقيل غير ذلك، (وَالرُّوحُ): هو جبريل عليه السلام، التفسير: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}: أي دعا داعٍ وطلب كافر من كفار مكة لنفسه ولقومه نزول عذاب، من قولهم: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، والسائل هو النضر بن الحارث، فإنه لمَّا خوَّفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول العذاب قال استهزاءً وإنكارًا: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، فكانت عاقبته العاجلة في الدنيا جزاء استخفافه واستهزائه أن أُهلك يوم بدر؛ فضلًا عما ينتظره يوم القيامة من نكال هو أشد وأنكى، وقال بعضهم: هذا المسائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكان قد استعجل عذاب الكافرين، فبيَّن الله له أن هذا العذاب واقع بهم ولا دافع له، قالوا: والذي يشير إلى هذا التفسير قوله بعد ذلك: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) وهذا يدل على أن ذلك السائل هو الذي أمره الله بالصبر الجميل، وهذا العذاب نازل بالكافرين في الآخرة لا محالة، وواقع بهم؛ سواءٌ طلب أو لم يطلب، ولا يدفعه عنهم أحد؛ لأنه من جهته تعالى وهو صاحب الدرجات والمصاعد التي تصعد فيها الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام؛ أفرد بالذكر لتميزه وفضله، وقال مجاهد: الروح ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم؛ لا تراهم الحفظة، كما لا نرى نحن حفظتنا، وقيل: ملك عظيم الخلقة يقوم وحده يوم القيامة صفًّا، ويقوم الملائكة كلهم صفًّا، وهؤلاءِ الملائكة والروح تعرج وتصعد من سماءٍ

---

[١٢٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٨٩).

إلى سماء إلى عرش الرحمن حيث تهبط منه أَوامره سبحانه، وقيل: المُراد من المعارج هي الفضائل والنعم؛ لأَن لوجوه إنعامه وأَياديه جل شأنه درجات، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة، فهم في نعم الله عليهم متفاوتون، وفي قوله: (مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ) ما يدخل الخوف والرهبة في قلوب الكافرين؛ إذ إن كل المخلوقات تحت قهر سلطانه، والملائكة ذلك الخلق العظيم تصعد إليه في معارج السموات: {لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، فما أَشد بطشه وما أَعظم أَخذه: {إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}، (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) من سني الدنيا؛ أَي أَن هذا العذاب سيكون في يوم قدره خمسون أَلف سنة، وهو يوم الحساب إلى أَن يستقر أَهل الجنة في الجنة وأَهل النار في النار، وإلاَّ فيوم القيامة لا نهاية له، ثم بعد ذلك ينتقل الكفار إلى نوع آخر من العذاب، وهذا الطول وتلك الشدة تكون على الكافرين والعاصين فحسب، وأَما المؤمنون فإن الله يخفف عليهم، يدل على ذلك ما أَخرجه الإمام أَحمد وغيره عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه..: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين أَلف سنة؛ ما أَطول هذا، فقال عليه الصلاة والسلام: (والذي نَفْسي بيده إنه لَيُخَفَّفُ على المؤْمنِ حتى يكونَ أَهون عليه من صلاةٍ مكتوبة يصليها في الدنيا)، {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ}، المفردات: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) الصبر الجميل: هو ما لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله، (كَالْمُهْلِ): كالمعدن المذاب، أَو كعكر الزيت، (الْعِهْنِ الْمَنفُوشِ): كالصوف المتناثر، أَو المصبوغ الذي طيرته الريح، التفسير: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} أَي احبس نفسك يا محمد على تحمل أَذَى قومك، ولا تضجر من استهزائهم وسخريتهم. أَو فاصبر ولا تستعجل عذابهم الذي سأَلته لهم؛ فإنه كائن ونازل بهم لا محالة، والصبر الجميل: هو ما لا شكوى فيه لغير الله، وقال بعضهم: إنه يكون معه صاحب المصيبة في القوم بحيث لا يدري من هو، {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا}: أَي: أَن الكفار يرون العذاب الواقع بهم، أَو يرون يوم الحساب بعيدًا عن الإمكان، ويعتقدون أَن وقوعه محال، أَو أَنه لا يقع أَصلًا؛ وإن كان ممكنًا في ذاته، ونحن بإحاطتنا وعلمنا نراه قريبًا هيِّنًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر، {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} أَي يقع هذا العذاب على هؤلاءِ المجرمين يوم تكون فيه السماءِ بعد تشققها وتداعيها قد تغير لونها من الخضرة إلى الحمرة، والمهل: هو عكر الزيت في أَسفل إنائه؛ أَو هو ما يُذاب من المعادن، والمُراد يوم تكون السماء واهية، وتصير الجبال مُتناثرة، مُتطايرة في الجو، تشبه الصوف المنفوش، وعن الحسن: تسير الجبال مع الرياح ثم تنهدّ ثم تصير كالعهن ثم تُنسف فتصير هباء، وقال صاحب الكشاف: المُراد بالعهن المنفوش؛ هو الصوف المصبوغ أَلوانًا، لأَن الجبال جدد بيض وحمر مختلف أَلوانها وغرابيب سود، فإذا بُسَّت وطيرت في الجو أَشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح"[١٢٣].

[١٢٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١١٠ \ ١٥٧٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astrophysics

الفيزياء الفلكية

المَوْضُوع Subject

Speed of light

سرعة الضوء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢الْبَقَرَة:١٨٩.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.
- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨.
- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٧.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ١١هود:١٢٣.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧.
- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٢البقرة:٢٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.
- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٤.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٧.